الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمّه لخضر – الوادي

كليّة الآداب واللّغات قسم اللّغة والأدب العربي

تسريد المحلي ونسق الإغتراب في "رواية الكناس" سليم عبادو

مذكّرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي
تخصّص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطّالبات :
– منيرة بدة زكري
– صبرينة الساكر
– أميرة هبيته

إشراف الدّكتورة:
– يسمينة عوادي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
شبرو عبد الكريم	أستاذ محاضر –أ–	رئيسا
عوادي يسمينة	أستاذ محاضر –أ–	مشرفا ومقررا
كرباع علي	أستاذ محاضر –أ–	مناقشا

لموسم الجامعي: 1444هـ/1445هـ-2023م/2024م

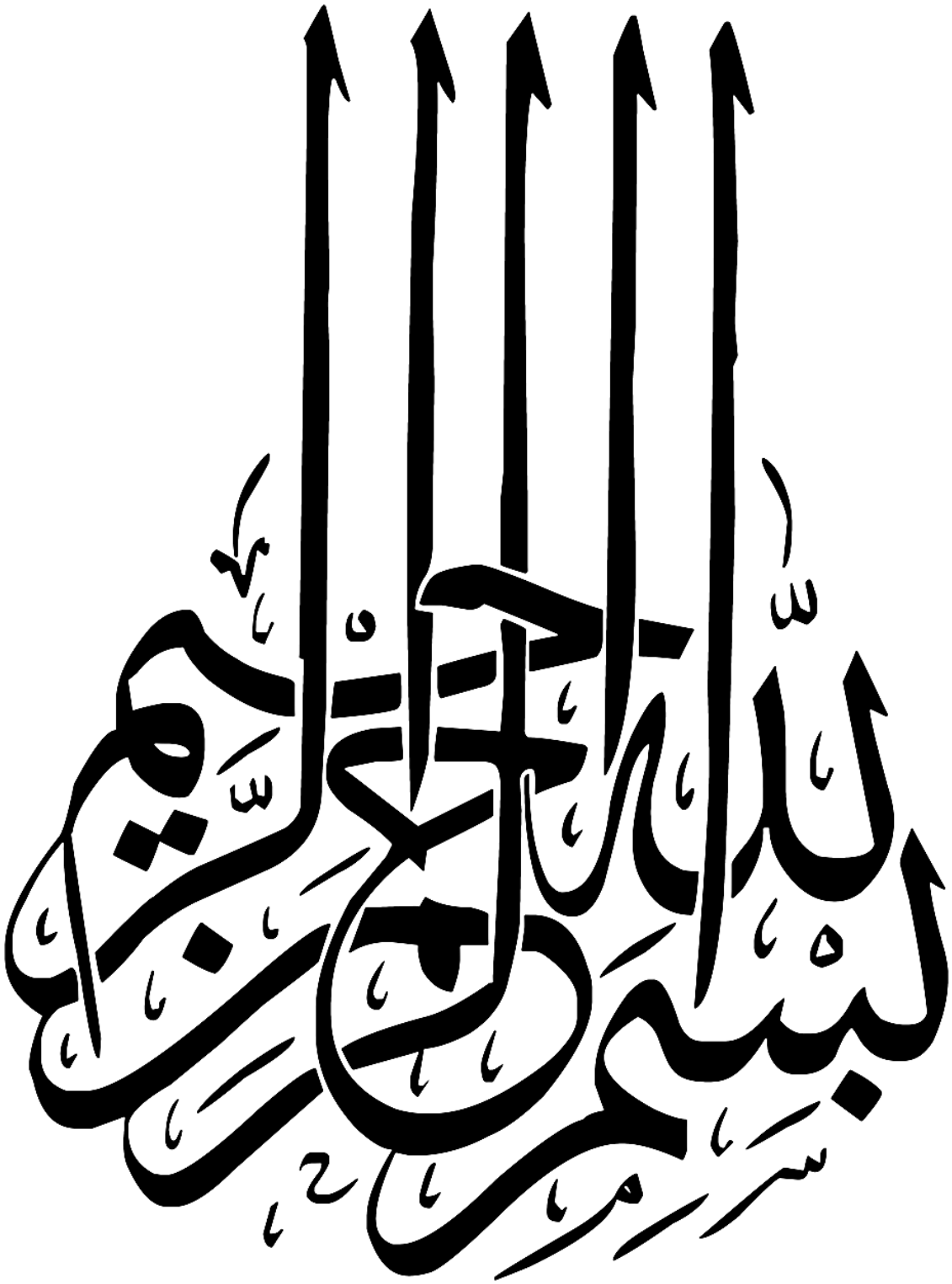
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي يسر لنا درب التعلم ووفقنا فيه وبعد:

نشكر الله عز وجل الذي أتم علينا نعمته ومنحنا الصبر والقدرة على إنجاز هذا العمل المتواضع مع خالص الشكر والتقدير إلى الأستاذة المشرفة الدكتورة يسمينة عوادي على نصائحها وتوجيهاتها القيمة والصائبة لتصويب العمل وإخراجه في أحسن صورة له، وإلى كل الأساتذة الأكارم من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية...

إلى كل هؤلاء ألف شكر لكم جميعا.

مقـــــــــدمة

مقــدمة:

عرفت الرواية الجزائرية تحولا نوعيا من حيث الموضوع و البناء ، حيث تنوعت أساليبها ورؤاها و اختلفت موضوعاتها على المستوى الفكري و الجمالي و من أهم الموضوعات التي تجسدت في الرواية الإغتراب الذي يعد من أهم المواضيع التي شغلت الكتاب و المدعين ، و هو أحد الممارسات التي أعطت للخطاب الأدبي رؤية جديدة خاصة من خلال إرتباطه بالمحلي على اعتبار أن الإغتراب الغربة ترتبط كثيرا بالمكان و الحنين إليه.

فقد عبر الكتاب عن مشاعرهم و أحاسيسهم من خلال إبداعاتهم الكتابية، و مما لا شك فيه أن العمل الأدبي بصفة عامة و الروائي بصفة خاصة يصدر من الأديب ليعبر من خلاله عن بيئته بكل تفاصيلها، و هو ما يجعلنا أمام قضية تسريد المحلي و استظهاره بغية و التعريف به التعرف عليه و إخراجه من المجال الضيق إلى المجال الواسع الرحب، و نظرا لأهمية الرواية و مكانتها الكبيرة في هذا العصر إخترنا من هذا المجال الواسع رواية الكناس للكاتب "سليم عبادو" كنموذج لدراسة سردية المحلي ونسق الإغتراب، حيث جاء عنوان الدراسة كالآتي: تسريد المحلي ونسق الإغتراب في رواية الكناس لـ: سليم عبادو.

و من أهم الدوافع التي جعلتنا نختار هذا الموضوع للدراسة نذكر:

- الرغبة الذاتية في دراسة الرواية الجزائرية.
- قلة وجود دراسات جامعية أكاديمية لإستخراج سردية المحلي افتقار الكثير من الروايات لمثل هذه النماذج التراثية.
- الميل لمثل هذه النصوص التي تتعلق بالأصالة وللإطلاع على أهم العناصر التراثية التي وظفها الروائي في روايته بإعتبارها تحمل رصيدا ثقافيا في المجتمع السوفي.
- الرغبة في اكتساب خبرة معرفية في مجال النقد الروائي.
- الفصول في التعريف على مجتمع الجنوب الصحراوي من خلال هذه الرواية.

الدوافع الموضوعية:

- محاولة الكشف عن النص الروائي و مدى إسهامه في تسريد المحلي.
- تحليل الرواية ومحاولة الكشف عن أنساق الإغتراب الموجودة فيها.
- تقديم عمل أكاديمي يثري الساحة النقدية و يفيد الباحثين مستقبلا.

و تمكن أهمية هذا البحث في الكشف عن أنساق الإغتراب الظاهرة منها والمضمرة و سردنة المحلي التي وظفها الكاتب "سليم عبادو" و قد أثار بحثنا هذا إشكالية جوهرية مفادها: كيف تجلى تسريد المحلي في رواية الكناس؟ و ما هي أبرز أنساق الإغتراب فيها من خلال شخصيات الرواية ؟

و هل أفرزت الرواية بطلا إشكاليا لا تكمن إشكالية في تعارض وعيه مع من حوله وحسب بل في إغترابه عن أرضه ووطنه وفقده الإنتماء لمكان آمن؟

و قد تولدت عن هاته الإشكالية جملة من التساؤلات الفرعية لعل أبرزها:

- ما المقصود بتسريد المحلي ؟ و ما هو مفهوم الإغتراب؟
- كيف جسد الروائي نسق الإغتراب في الرواية و كيف ربطه بالمحلي؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات إقترحنا خطة ألمت بموضوع البحث من الجانبين النظرية والتطبيقي احتوت على مقدمة و مدخل و فصلين و خاتمة، ففي المدخل تطرقنا إلى المحلي و العالمي في الأدب، الإغتراب من المفهوم إلى النسق ضمن النصوص الأدبية، و في الفصل الأول تحدثنا عن تسريد المحلي في الرواية و علاقته بهوية المكان والغوط و عبقرية الأنسان السوفي في تعامله مع التربة ، ثم تطرقنا إلى العمارة السوفية و كيفية تأقلم الإنسان السوفي مع المناخ الصحراوي، أيضا تحدثنا فيه عن الوادي كفضاء ريفي و العاصمة كفضاء مدني أما في الفصل الثاني تحدثنا فيه عن التحولات الشخصية ونسق الاغتراب في رواية الكناس والذي اندرجت تحته عدة عناصر أهمها البطل الإشكالي "شخصية شيشا"، "الزوجة" و "الأبناء" و"عبد القادر" المدعو "قديرو" و أخيرا إبن عم "شيشا" "إدريس".

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فقد اعتمدنا على منهج النقد الثقافي بالإستعانة بأدوات النقد السميائي، و قد إستعنا في دراستنا هذه بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر على رأسها المصدر الأول لهذه الدراسة والمتمثل في رواية الكناس "لسليم عبادو".

الإغتراب في الشعر الأموي، د، فاطمة حميد السويدي.

جماليات العمارة التقليدية في واد سوف ، دراسة وصفية تاريخية ، بن علي محمد الصالح.

و بحثنا كأي بحث علمي لا يخلو من بعض الصعوبات التي واجهتنا خلال إنجازه لعل أبرزها ضيق الوقت اللازم الذي يكفي لتناول قضية التراث الشاسعة و المتشبعة، و انعدام دراسات أكاديمية سابقة تطرقت لهاته الرواية في مجال التراث لذلك ركزنا على المجهود الخاص في الفصلين النظري و التطبيقي.

– قلة الخبرة في موضوع تسريد لمحلي على اعتبار أنه ميدان جديد.

– صعوبة استخراج أنساق الاغتراب من الرواية لكن يتضافر المجهود و توجيهات الأستاذ المشرف تمكنا و الحمد لله من التغلب على هذه الصعوبات و تجاوزها و لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نحمد الله عز و جل أن و فقنا لإتمام هذا العمل ، ثم نتقدم بأسمى عبارات الشكر و العرفان للأستاذة الفاضلة الدكتورة "يسمينة عوادي" على تحملها عبء الإشراف على هذا البحث كما نشركها جزيل الشكر على ما قدمته لنا من نصائح و إرشادات و ملاحظات طيلة فترة البحث ، فإن وفقنا فمن الله و إن أخطائنا فمن أنفسنا، و في الأخير لا تدعي أننا أحطنا بالموضوع من جميع جوانبه، لكن نحسب أنفسنا أننا قدمنا و لو لمحة موجزة عليه قد تكون لبنه إنطلاق لغيرنا من الباحثين.

كما نتمنى أن نكون قد توصلنا على الأقل إلى الإلتزام بمعايير المنهجية و الإحاطة بالجوانب الأساسية و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و صلي اللهم و بارك على سيدنا محمد و على آله و صحبه و من إتبع هداه أجمعين.

مدخـــــــــــل

مدخـــــــــــل:

1. المحلي و العالمي في الأدب:

لا يزال الجدل بين محلية الأدب و عالميته قائما على أشده في زمن العولمة و إحتكاك الثقافات ببعضها البعض، حيث أصبحت النتاجات الثقافية و الأدبية تنشر في العالم بسرعة هائلة خاصة مع توفر شروط التفاعل الثقافي التي يسرت و سهلت عملية المثاقفة ، و لكن رغم ذلك تجد بعض الأعمال الأدبية صعوبة كبيرة في طريق الإرتقاء إلى مصاف العالمية على الرغم مع جودتها الفنية و عبقرية مؤلفها، و إجماع النقاد على فنيتها و جماليتها، لأنها لم تجد المترجم الكفؤ الذي يخرجها إلى دائرة الضوء و يسبب المعايير المعتمدة في تقييم الأعمال كونها معايير غريبة بامتياز، و في هذا السياق ظهرات أصوات تنادي بضرورة مراجعة مصطلح الأدب العالمي و إعادة النظر في المعايير المعتمدة.

تعود فكرة العالمية إلى الألماني (eoethe) في القرن التاسع عشر و الذي دعا الأدباء الألمان خصوصا و الأوروبيين عموما إلى توسيع نظرتهم إلى الأدب لتشمل آداب الأمم الأخرى و ليس فقط الأقطار التي ينتمون إليها قال: "و لكن إذا لم نرن نحن الألمان بأبصار إلى ما وراء محيطنا الحالي، فإننا سنقع بسهولة ضمن الزهو المتعجرف أحب أيضا أن أستخبر عن الأمم الأجنبية و أنصح كل شخص أن يفعل ذلك من جهته إن كلمة أدب قومي لا تعني شيئا كبيرا اليوم، إننا نسير نحو عصر الأدب العالمي و يجب على كل شخص أن يسهم في تسريع قدوم هذا العصر"[1].

" و الإغتراب ظاهرة إنسانية عامة كثر البحث فيها في مجالات معرفية متعددة قديما و حديثا.

[1] فضيلة مادي، دور عالمية الأدب و مذاهبه في تطور الأدب و ظهور أجناسه الأدبية مذكرة مقدمة لنيل الماجستير نقلا عن وحدة الأدب العالمية المعاصرة.

و قد التقت هذه المجالات عند فكرة واحدة هي شعور الفرد بالإنفصال و الغربة عن محيطه المادي و الفكري و يعود الاهتمام بالإغتراب إلى تأثيره في حياة الإنسان ونشاطاته".

و أخيرا أود القول أن عالمية الأدب ليست ترجمة أو إتنشارا جغرافيا ، بل هي أكثر من الهادي محمد بوطارن ذلك، إن مفهوم العالمية ينبغي أن يتحدد من خلال الجودة، الجودة الوحيدة بالتي بإمكانها أن تجعل من الأدب عالميا سواء ترجم العمل أم لا، و سواء إنتشر أم لا، و الزمن هو الكفيل يتبين قيمة العمل.

2. مفهوم الإغتراب:

الإغتراب ظاهرة إنسانية عامة كثر البحث فيها في مجالات معرفية متعددة قديما و حديث.

أ. لغة:

الإغتراف ظاهرة معقدة و غامضة تحمل معاني و دلالات متعددة حيث ورد في لسان العرب " اغترب الرجل نكح في الغرائب و تزوج غير أقاربه وفي الحديث اغتربوا و لا تضو و أي لا يتزوج الرجل القرابة القريبة و الإغتراب افتعال من الغربة و أغرب الرجل: صار غريبا و الغرباء الأباعد و الغريب الغامض من الكلام"[2].

و الكلمة "غرب": في تحولاتها لم تبتعد عن دلالة البعد و النأي و الانفصال و المتمعن في أصول الكلمة غرب في معجمي "العين" و "لسان العرب" يجد تشابها في تفصيل و شرح دلالة المعجمين يميزهما عن الغربة.[1]

[1] نسرين محمود الشرادقة ، الإغتراب في شعر أمجد ناصر ، طبع بدعم من وزارة الثقافة 2012 ، ط1 ، 2013 ،ص13

[2] جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، د ط ، 2009 ، ص 24.

[3] الهادي محمد بوطارن ،الإغتراب في الشعر العربي الروماني ، دار الكتاب الحديث، 2010، القاهرة، ص 21.

ب- إصطلاحا :

يتميز مصطلح الإغتراب(alientation) عن سائر المصطلحات بجاذبية خاصة و فريدة فهذا المصطلح رغم ما يشوبه من غموض له إغراء خاص في الإستخدام مما جعله اليوم أكثر المصطلحات شيوعا.

الإغتراب (alientation) مشتق من اللاتيني (alienatiei) المشتق من الفعل (alienare) بمعنى تحويل شيء ما لملكية شخص آخر أو الانتزاع أو الإزالة.[1]

الإستخدامات المعاصرة لمصطلح الإغتراب تتفق على أن الإغتراب هو التباعد أو التنافر أو الإنفصال عن شيء ما و هذا الإنفصال عادة ما يكون انفصالا عن الذات أو المجتمع حيث يميز علماء النفس بين نوعين أساسين من الإغتراب الإغتراب عن الذات و الإغتراب عن المجتمع.

- **الإغتراب عن الذات:** يعني انفصال الفرد عن ذاته و عدم التطابق معها.

- **الإغتراب عن المجتمع:** و هو أن يرفض الفرد صراحة قيم المجتمع و أعرافه و تقاليده و يبرز سلبياته و تناقضاته و لا يشعر بالميل إلى إقامة الصلات الاجتماعية و العلاقات الودية مع الآخرين[2].

3. أنواع الاغتراب:

أ.الإغتراب النفسي:

يعتبر الإغتراب النفسي من المشاكل النفسية و الاجتماعية المعقدة التي يتعرض لها الإنسان لعدم شعوره بالأمان النفسي و الطمأنينة بالإضافة إلى شعوره بعدم الراحة مما يؤدي به إلى سوء التكيف، و منه فإن"البعد النفسي الاجتماعي للإغتراب في الفكر العربي القديم

[1] محمد عباس يوسف ، الإغتراب والإبداع الفني ، دار غريب، القاهرة،2002 ، ص 21.

[2] نفس المرجع، ص 22.

فكان يشمل معنى الإبتعاد و النزوح عن الوطن أما تعينه كلمة الغربة، و ما يرافقها من مشاعر الخوف و القلق و الحنين إلى الأهل"[1].

"الاغتراب عن الذات يعني انفصال الفرد عن ذاته وعدم التطابق معها بمعنى أنه يصطنع ذاتا زائفة من فعل و تأثير ضغوط المجتمع بنظمه و أعرافه و تقاليده بل و تناقضاته مما يؤدي إلى طمس الذات الحقيقية أي ذات الفرد كما يريد لنفسه أن يكون"[2].

ب.الإغتراب الاجتماعي:

يعتبر الإغتراب الإجتماعي أحد الأزمات التي تواجه الأشخاص في علاقاتهم بذاتهم و منه فإن الإغتراب الاجتماعي يعد من الظواهر الاجتماعية التي تؤثر سلبا على المجتمع و على المجتمع وعلى الذات ونعني بذلك تعرض الشخص إلى التهميش و العزل والإقصاء حيث يشعر هذا الفرد باللاانتماء و أنه لم تعد تربطه بالنسيج الاجتماعي روابط حميمية و يشعر أيضا بأن حبل الشراكة و التواصل مع الغير قد انقطع و أن مصيره لم يعد يتعلق بمصير المجتمع و أن قضاياه ليست هي الأخرى قضايا المجتمع[3].

و أهم مظاهر الإغتراب الاجتماعي هو النبذ و الرفض و يظهر بشكل خاص بين الأقليات العنصرية و أسهمت هذه الأقليات بشكل كبير في تغذية الفتن السياسية و الحروب الداخلية[4].

و قد ظهر الإغتراب الاجتماعي بشكل أكثر مأسوية مع ظهور الاستعمار بأشكاله المتعددة وذلك بعد سيطرة هذا الأخير على الأرض و ما تزخر به من خيرات مع شعور أصحاب الأرض بالتهميش و الإقصاء و الإحتقار[5].

---

[1]نسرين محمود الشرادقة ،الاغتراب في شعر أمجد ناصر، ص 13.

[2]فضيلة مادي، دور عالمية الأدب ومذاهبه في تطور الأدب وظهور أجناسه الأدبية مذكرة مقدمة لنيل الماجستير نقلا عن وحدة الأدب العالمية المعاصرة.

[3]الهادي محمد بوطارن، الإغتراب في الشعر العربي الروماني، دار الكتاب الحديث، ط 2010، القاهرة، ص 200.

[4]فاطمة حميد السويدي، الإغتراب في الشعر الأموي،دار النشر مكتبة مدبولي للنشر ، ط1، 1997، ص 98.

[5]نفس المرجع، ص 201.

مما سبق نستنتج من هذه التعريفات أن الإغتراب الاجتماعي و تأثيره السلبي على المجتمع يؤدي إلى تعرض الإنسان بعدم الإنتماء و اللامبالاة و عدم التأقلم و عدم التلاؤم.

4. مظاهر الإغتراب:

" و يرى معظم الباحثين أن هذه الأبعاد أو المظاهر هي التي تساعد على فهم ظاهرة الإغتراب بإعتبارها ظاهرة مركبة، و بدون هذه الأبعاد لا نستطيع التمييز بين ظاهرة الاغتراب و الظواهر النفسية المشابهة مثل الانطواء، الوحدة، و لذلك نحاول فيما يلي تسليط الضوء على أهم هذه الأبعاد :

أ. العزلة الاجتماعية:

تعرف العزلة الاجتماعية بأنها الشعور بالانفصال عن الأخرين، و الإحساس بعدم الإنتماء، و اللامبالاة بطريقة يشعر فيها الفرد أنه وحيد منفصل عن نفسه ومجتمعه" [1] و هذا يقصد به انفصال عن القيم الثقافية للمجتمع و إحساس الفرد بعدم الإنتماء و شعوره بالوحدة و الفراغ النفسي.

ب. التشئ:

"استخدم ماركس مفهوم التشئ ليشير إلى و ضع العامل في المجتمع الرأسمالي ذلك العامل الذي يعيش بوصفه سلعة تباع و تشترى أو يعيش حياته كما لو كان شيئا جامدا و على نحو غير إنساني، و منه التشئ كمظهر من مظاهر الاغتراب يعني أن الفرد يعامل كما لو كان شيئا و أنه قد تحول إلى موضوع و فقد هويته"[2] يقصد به أن التشيء فأنه يصيب روح الإنسان و من هنا يفقد الإنسان ذاته و يطرده من نفسه و يجعل له وطن غير وطنه الحقيقي.

ج. اللامعيارية:

[1] محمد عباس يوسف، الإغتراب والإبداع الفني ، ص 23.

[2] نفس المرجع السابق، ص 23.

" و اللامعيارية ترتبط بتبدل القيم حيث تهتز القيم المستقرة في حياة المجتمع و تنهار ليحل محلها قيم أخرى مادية و متدنية مما يصيب الفرد بحالة من عدم الاستقرار أو عدم التوازن النفسي"[1].

و يقصد بها هي الحالة التي تقل فيها قدرة المجتمع على التوجيه الأخلاقي لأفراده .

د. العجز:

و قد عرفه (سيمان) بأنه: "الإحساس بالعجز عن مواجهة الأحداث الاجتماعية و السياسية ، أي عجز الفرد عن السيطرة على أحداث وعدم القدرة على فعل أي شيء في مواجهة مشاكل عالم اليوم"[2]، و يقصد به أنه حالة جسدية أو عقلية أو معرفية أو تنموية تضعف أو تتداخل مع أو تحدي من قدرة الشخص على المشاركة في مهام أو إجراءات معينة.

هـ. اللامعنى:

يري سارتر أن اللامعنى هو: "العبث الذي يعرفه بأنه كل ما ليس له معنى و أن وجود الإنسان عبث و أن مشروعاته و أفعاله كلها عبثية"[3]، و يقصد هنا بأن اللامعنى هو في الوقت ذاته ما ليس به معنى لكن بما هو كذلك فهو يقابل غياب المعنى بقيامه بعملية إضفاء المعنى.

و. التمرد:

و يرى سيمان التمرد بأنه: "يمثل أحد أبعاد الاغتراب الذي يظهر في شكل سلوك غاضب يتصف بالعداء و الازدراء و الشعور بالمرارة و الاستياء من كل ما أصطلح عليه المجتمع من قيم ومعايير"[4] و يقصد به هو الإنفصال عن الذات و الشعور بالإغتراب الروحي الذي امتاز بالوجه السلبي الذي يودي إلى العزلة.

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 24.

[2] نفس المرجع السابق، ص 24.

[3] نفس المرجع السابق، ص 24.

[4] نفس المرجع السابق، ص 25.

ي. اللاهدف:

المقصود باللاهدف: "هو أن الحياة تمضي بغير هدف أو غاية و من ثم يفقد الفرد مبرر و جوده فلا يرى جدوى من حياته و لا معنى و لا فائدة من مواصلة الحياة"[1] و منه نستنتج أن الإنسان يفتقد إلى وجود هدف معين في حياته.

5.الإغتراب ضمن النصوص الأدبية:

يعتبر الإغتراب ظاهرة التي برزت في الأدب باعتباره نتاج نشاط إنساني لازم العديد من الأعمال الأدبية العربية و بوجه خاص الجزائرية منها، فالمتتبع لموضوعات الرواية العربية يلاحظ أنها تصور واقعا مأزوما تعيش شخصياته في إنفصال تام عنه، نظرا لما يتجاذبها من تناقضات فكرية و اجتماعية و ثقافية، و من بين هذه الروايات العربية نذكر رواية "أنا أحيا" للكاتبة اللبنانية "ليلي بعلبكي 1958م"، و رواية ثرثرة فوق النيل 1966م للكاتب المصري نجيب محفوظ، ورواية النخلة الجيران 1966م للكاتب العراقي غائب طعمة فرمان"[2]، إلا أن رواية "موسم الهجرة إلى الشمال الصادرة عام 1966م للكاتب السوداني الطيب صالح نقلت صورا عن تجربة فريدة"[3] لأنه بمثابت إغتراب داخل اغتراب آخر، ذلك أن مصطفى سعيد الشخصية الرئيسية في الرواية يعاني من إغترابين، اغتراب بمعنى الابتعاد عن الوطن لأنه بعيد عن وطنه السودان، و إغتراب بمعنى الإنفصال عن الذات و المحيط من خلال ما يشعر به من تصدع داخلي تابع من الصراع بين الأنا والآخر داخله.

أما بالنسبة للرواية الجزائرية فقد شكلت ظاهرة الإغتراب سمة بارزة فيها منذ فترة ما قبل إستقلال الجزائر، ذلك أننا نلاحظ حضورا بارزا لظاهرة الإغتراب في الأعمال الورائية التي أنتجت خلال هذه الفترة نذكر منها "رواية ابن الفقير 1950م لمولود فرعون، ثلاثية[4] محمد ديب (الدار الكبيرة 1952، الحريف 1954، النول 1957)، إلا أن اللافت في الرواية

[1]نفس المرجع السابق، ص 25.

[2]مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ص 264.

[3]الرواية، ص 64.

[4]مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد: 09، عدد05، سنة 2020، ص 265.

الجزائرية خلال فترة ما قبل الاستقلال – على وجه الخصوص – هو الجمع بين الحس الإغترابي و الحس الوطني و تمثل لذلك برواية "ليس في رصيف الأزهار من يجيب" 1961 لمالك حداد، إذ يلتقي حب الوطن بمشاعر الغربة في الرواية، ما يتحول لاحقا إلى إغتراب تام عن الواقع[1]، ذلك أن بطل الرواية خالد بن طوبال الذي كان شاعرا مسكونا يحب الجزائر أجبر على العيش في باريس لكنه على الرغم من ذلك ترك قلبه و عقله في الجزائر مع زوجته وريدة و أولاده ، و بهذا نقلت الرواية ملامح الصراع الداخلي الذي يواجهه خالد بن طوبال بسبب أسئلة الهوية التي تطارده و شعوره الدائم بعدم الانتماء إلى المكان الذي يعيش فيه.

أما فترة ما بعد الاستقلال فقد رسخت ظاهرة الاغتراب و جودها في الرواية الجزائري بسبب التحديات السياسية و الاجتماعية و الإقتصادية التي شهدتها الجزائر بعد الإستقلال خاصة في مرحلة التسعينات التي ألقت بظلالها على الرواية الجزائرية و عمقت الشعور بالإغتراب لدى الكتاب الجزائريين و من بين هؤلاء "أحلام مستغانمي التي اجتاح الحس الإغترابي روايتها ذاكرة الجسد 1993م المهداة إلى مالك حداد، حيث تعتبر رواية شخصية رئيسية بدا عليها الاغتراب واضحا و جليا، حيث ظهرت تجلياته بصور و أشكال مختلفة، منها الإغتراب النفسي الذي أدى إلى تقوقعها و فقدان الثقة تجاهه، و الإغتراب المكاني حيث إنتقلت الشخصية من أرض الوطن إلى الغربة أين وجدت التقدير و الاحترام، كما نجد الاغتراب الثقافي و السياسي من خلال رفضها للوضع السائد و محاولة تغييرة ، كما عكست الرواية صورا عن إنشطار الذات و تلاشي الأنا في مواجهته لواقع بائس)[2]، فضلا عن ذلك تميزت عدة تجارب جزائرية خلال فترة ما بعد الاستقلال بحضور لافت لظاهرة الاغتراب، نذكر منها رواية (مزاج مرهقة 1999م لفضيلة الفاروق، رواية وطن من زجاج 2006

[1]نفس المرجع.

[2]مجلة المفكر مجلة علمية أكاديمية تصدرها جامعة 2 (أبو القاسم سعد الله)، المجلد الرابع، العدد: الأول: جوان 2020، ص 62.

لياسمينة صالح و رواية قليل من العيب يكفي 2009، لزهرة ديك)[1]، حيث يتجلى القلق في (رواية وقليل من العيب يكفي عند ما تحول البيت من كونه سكنا يحوي العائلة إلى منفى أو قلعة نائية بفعل إسقاط الحالة النفسية على شخصية التدرج الذي أخذت هزائمه تتفاقم كل مرة و تكبر فجيعة و قلقه الدائم إيزاء العلاقة السلبية التي تربطه بزوجته، أين يظهر الإغتراب المكاني القائم على اضطراب نفسي بين الزوجين، بالإضافة إلى التمرد و كسر المتوارث من العادات و التقاليد و انمحاء الفحولة، و في سياق أخر يبدو والقلق على "دابو" حين يذهب إلى مقر عمله بالجريدة و هو بآثار الندوب وضرب زوجته له مرات عديدة حيث يذهب إلى العمل متورم العينين من شدة البكاء ليلا أو بفعل لكمات أهدتها له زوجته لسبب أو الأخر..)[2] ، تعبر هذه الرواية عن انسحاب الشخصيات إلى عوالم مختلفة لتجسيد رفضها المطلق للزمن الحاضر الملون بمشاعر الإحباط و التهميش و العنف و الماديات، ما جعلها تضيق ذرعا بالحياة الراهنة لتختار الزمن الماضي و المستقبل و الأحلام و الهذيان و الجنون و الحديث النفسي لحظات انفصالية هروبية تنشد فيها ضالتها و تقهر إغترابها و خوفها من الزمن الحاضر الذي بات عدوها اللذود.

إن الإغتراب وظفه العديد من الأدباء في نصونصهم كتجربة من تجارب التي عاشوها و منه فإنه " إن العالم الذي يصوره عز الدين جلاوجي هو عالم يجنح نحو الخيال و يتجد و يتجد صوب اللامعقول و الوهم لأنه نص يضيع في متاهة الغريب و للاممكن و يجسد تجربة الذات و صلتها بواقع يصنع غربتها و إعترابها"[3].

"يقول الكاتب: أيتها المدينة المومسا ...

إلى متى تفتحين ذراعيك للبلهاء ...؟

إلى متى ترضعين الحمقى والأغبياء...؟

---

[1] نفس المرجع.

[2] غاستونباشلار، شاعرية أحلام اليقظة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991، ص 20.

[3] د.جميات منى ، تجولات اللغة والبناء في الرواية الجزائرية الجديدة مقارنة تطبيقية في نماذج روائية –. 2019 الطبعة الأولى، ص64.

يصور الجانب الشخصية هنا و هي تعيش أقصى حالات الإغتراب و الاندثار و التذبذب و هذا جراء ما أصاب عالمها من المسخ و التشويه فلا المكان مكان نظيف ترتاح فيه و ترتكب إليه و لا الشخصيات آدمية الخلقة تشجع على التواصل معها"[1].

[1]نفس المرجع، ص 62.

6. ملخص الرواية:

الكناس رواية عن مكايدة تاجر بين وادي سوف و العاصمة تحكي عن تأشيرات القرارات الاقتصادية المتقلبة و المتضاربة، على تجارة و حياة رجل بسيط من وادي سوف يدعى شيشا، إمتهن التجارة أبا عن جد و كيف كابد للتأقلم مع تلك القرارات الإرتجالية كي تدوم تجارته ، لكن دون جدوى إلى أن أفلس في الأخير و رهن حتى محل جده، لم يتحمل شيشا العبء و الضغط النفسي الذي يمارسه المجتمع السوفي على كل من وقع له ذلك من أمثاله، فإختار الهرب والاختباء عوض مواجهة الأمر الواقع ، و انتقل للعيش بالجزائر العاصمة، لأن لا أحد يعرفه هناك، عمل حمالا بسوق الخضر ببوفاريك حتى أشفقت عليه موظفة بالبلدية فتدخلت عند رئيسها ليوظفه كعامل نظافة (كناس) بشوارع العاصمة بعد أن كان تاجرا مرموقا في بلده الأصلي، مع كل ما تحمله الصورة الإنسانية من مأساة و معاناة نفسية و لعائلته بسبب هذا التطور الدراماتيكي المفاجئ و المؤسف و الذي آلت إليه حياتهم، و ذات مرة و هو ينظف الشوارع عثر على كنز ثمين وقبل أن ينجو به قبضت عليه صاحبة الكنز الساحرة (مشعوذة الحي) بوكا، لتهدده وتسترجعه منه على مضض، ثم تشفق على حاله، و تطرح عليه تحد إن هو نجح فيه تعطيه عشرة قطع ذهبية للوس الرابع عشر، و هنا يدخل في مغامرة مع ....جيرانه محاولا مساعدتهم في حل مشاكلهم ليظفر بالذهب الموعود من عند بوكا الساحرة يستيقظ الكناس في الأخير فيجد أن كل ذلك كان حلما، لكنه إستفاد من تجربته أيما فائدة فقد إتقشع الغيم من أمام عينيه، و إتضح له الطريق من جديد بعد إرتباك و عدم استقرار نفسي، فقرر أن يعود لبلدته الوادي و يكافح من جديد من أجل نفسه و سمعة أبيه وجده و من أجل زوجته و أبنائه من جديد ضمن وجهاء المدينة تتناول الرواية أيضا تاريخ وادي سوف، كيف تم إعمار المنطقة بالسكان، كيف كافح هؤلاء السكان للعيش في منطقة حارة و جافة جدا تفتقر إلى الماء و الكلأ، و كيف حولوا العرق الشرقي من أرض قفار إلى جنات من النخيل، و تحكي أيضا عن كيفية تشكل الكثبان الرملية و تحرك حبيبات

الرمل فيها و اتجاهات الرياح، و كيفية إنشاء الغيطان و صيانتها و رفع الرمل و تحكي أيضا عن الأمثال الشعبية فيها و الحكم.

الفصل الأول

تسريد المحلي في رواية "الكناس"

1. الغوط أو الهرم المقلوب:

يمثل الغوط مظهرا فلاحيا فريدا من نوعه على مستوى العالم، فالغوط رمز للإستقرار بالنسبة للمجتمع السوفي، فهو جزء من حياتنا و تراثنا، فالحفاظ عليه واجبنا لأنه ينقل رسالة من الأجداد إلى الأبناء حول تحدي الطبيعة القاسية و الصعبة، يقول الروائي " و الغوط عبارة عن حفرة كبيرة حفرت وسط كثبان الرمال، حيث كان جدي و أبي يرفعان الرمال من وسطه بواسطة القفة التي يحملها الواحد منهما على كتفة و يصعد بها الكثيب إلى غاية قمته ليفرغها هناك، عمل شاق جدا، كنت أتابع عملهما آنذاك و أشفقت عليهما، خاصة أني كلما طلبت منها أن أنظم إليهما في ذلك العمل المضني منعاني من ذلك مبتسمين، قائلين تكفل أنت فقط بسقي شتلات الخضر و أترك الباقي لنا"[1].

فالغوط لمن لا يعرفه هو منخفض واسع في أرض رملية يصل انخفاضه لأكثر من عشرة أمتار، تزرع فيه النخيل ثم إنشاؤه قديما من قبل فلاحي المنطقة الذين اعتمدوا فلسفة مغايرة لسقي النخيل، فعوضا عن رفع المياه لمستوى المزروعات تم إنزال النخيل لمستوى الماء فهذه الطريقة تعتبر إبداعا حيث شبهه كل من زار المنطقة قديما أو حديثا بما قام به الفراعنة، فهؤلاء بنوا إهرامات للأعلى بينما الفلاح السوفي حفرها للأسفل، حيث أطلق عليه إسم الهرم المقلوب " و هو منخفض عميق عن مستوى سطح الأرض إختاره سكان هذه المنطقة لغراسة النخيل لأسباب فلاحية محضة ناتجة عن التجربة و الرغبة في الإستقرار و تحدي صعوبة و قسوة الطبيعة يتشكل عادة بالأرياف و القرى و يتوسط الكثبان الرملية، و يمتد على قطر دائري يتراوح من 80 إلى 200م"[2]، فالغوط هو إنجاز حضاري يستحق الإهتمام لما يمثله من غرابة وإنبهار رغم طابعه التقليدي الذي تميز به، لأنه يحتاج لجهد بشري عظيم، و لإنجازه يجب أولا إختيار المكان المناسب و بدقة من إستواء الأرض و قربها

[1] سليم عبادو، رواية الكناس، دار خيال للنشر والترجمة،الجزائر ، 2023 ، ص 56.

[2] ينظر: د. عبد الكامل عطية، دراسات في التاريخ والتراث، مطبعة الرمال، 2019، ص 216.

من الماء ، و يتم برفع الرملة عن طريق و سائل تقليدية بالقفة أو الزنبيل[1*] مصنوعة من سعف أوراق النخيل وترفع الرمال من المنخفض إلى سطح الأرض على الظهر أو بإستعمال الحمير و البغال لتهيئة المنخفظات التي تسمى الغوط موجهة للإستغلال في غراسة واحات النخيل نظرا لقربها من المياه لتصبح النخلة نسقى آليا من خلال إمتصاصها للمياه من الطبقة السطحية دون اللجوء إلى السقي و بذلك يسمح لأي فلاح غراسة نخيله، ثم يذهب للقيام ببقية أعماله المهنية و إلتزاماته لأنه لا يحتاج إلى سقي يبقى فقط تلقيحه في فصل الربيع وجني المنتوج في فصل الخريف، حيث تسمى أشجار النخيل المغروسة بهذه الطريقة "بالبعلي" و يعد من أجود أنواع التمور في العالم سواء من حيث حجم الثمرة أو المذاق.

2. رفاع الرملة:

و هي عملية أساسية عند الشروع في إنجاز غوط جديد أو أثناء توسيع غوط قديم، و تعد من الأعمال الشاقة و المضنية التي يقوم بها الرجل السوفي القديم قبل ظهور أدوات و وسائل الحفر حيث كان المزارعون يقومون بحفر الغوط عبر رفع الرمال على ظهورهم وذلك بإستخدام القفاف (جمع قفة) أو بالإستعانة بالدواب أحيانا، و يدل هذا العمل على مدى تحمل و شقاء و صبر الفلاح السوفي على هاته الأعمال الشاقة مع صعوبة و قساوة المناخ و حرارة الطقس في هاته المنطقة ، حيث لو جاز لنا أن نضع عنوانا لتلك الفترة من صراع الرجل السوفي مع بيئته، لقلنا إنه التحدي بأقوى صورة، أو إنه الصراع من أجل البقاء الذي أفرز إنتصارا عظيما للإنسان على العقبات التي تواجهه في بيئة صحراوية لا ترحم.

و خلاصة القول يجدر بنا الإشارة إلى الغيطان و زراعة النخيل قد كانت تستحوذ على جل إهتمام أهل سوف، وتستوعب أقاتهم، و تدعوهم إلى بذل جهود مضاعفة و أعمال مستمرة من مختلف الطبقات الإجتماعية، و ذلك بالسهر على تدبير شؤون الغيطان ورعاية النخيل، "و قد شهد أواخر القرن التاسع عشر 19م و بداية القرن 20 زيادة في الإنتاج الخام

*[1]**الزنبيل:** هو عبارة عن قفة مصنوعة من السعف أوراق النخيل يحملها الإنسان فوق ظهره لرفع الرملة أو تحمل فوق البغال والحمير

للتمور بسبب تضاعف غراسة النخيل"[1] حيث شكلت النخلة و ثمارها و حتى أجزاءها المرد الأساس للإقتصاد المحلي، و يفضل مردودها الوافر تغدو و تروح القوافل محملة بصنوف السلع و البضائع و يزوج البنون و تجهز العرائس، و تروج الفنون و تسدد الديون ، كما مثلت النخلة و الغوط الوقف المحبس على الأعقاب ، و الصدقة الجارية، و تأمين الرزق للقصر و الأيتام و الملاذ الآمن من كل عوائد الدهر.

3. السوق:

يعتبر سوق الوادي القطب التجاري والمركز الإقتصادي لمنطقة وادي سوف و ما جاورها، و لوقوعه في قلب المدينة الأول و بمحاذاة النواة الأولى مسجد سيدي المسعود الذي إصطفت حوله الدكاكين و الساحات التجارية في جميع أطرافها يقول الروائي: "سوق الأعشاش عالم متفرد بحد ذاته"، إن لم أقل عوالم ، فيها الحداد، الخياط ، بائع الأعشاب و التوابل، الإسكافي، الجزار، الطباخ و بائع المواد الغذائية من مصبرات و مواد طازجة.

عند المرور في السوق متجولا تأسرك الروائح الطيبة المنبعثة من المحلات الصغيرة، روائح التوابل المنتشرة كبستان متنوع الألوان و العطور الفواحة ، منها التقليدي و الصناعي، و لفافات الصوف بألوانها الأخاذة التي إصطفت في المتاجر، و الأكلة الشعبية بإمتياز فيه ، دوبارة الحمص أو الفول التي تفنن فيها السوافة عبر السنين حتى أصبحت تجر كل من يدخل السوق من أنفه إليها و لا يتفطن إلا وهو يطلبها بإحدى المحلات مستمتعا و الحضور الشبه الدائم لبائع "اللاقمي" و هو مشروب محلي يستخرج من قلب النخل ، و ما يزيدك أسرا و أنت تتنقل بين المتاجر الصغيرة العتيقة بطرازها[2] المعماري المتميز و أبوابها المختومة ببصمة أهل سوف هو الابتسامات و الترحيب الدائم من طرف الباعة، فلا تأفق عندهم و لا

[1] د. عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 226.

[2] الرواية، ص 51.

غلظة، و لو أنزلت كل ما في الحانوت لترى و تدفق ثم لا تشتري ، فالتجارة عندهم صنعة، و للصنعة قواعدها و ظوابطها التي يتقنها هؤلاء ، أيا عن جد"[1].

فسوق الأعشاش أو ما يسمى رسميا يسوق أحمد ميلودي يقع وسط مدينة الألف قبة و قبة ضمن حي الأعشاش العتيق، وكان اللبنة الأولى لتأسيس المدينة و شاهدا على ميلادها و تطور عمرانها الأصيل، فالحي بما فيه السوق مصنف ضمن التراث العالمي ناهيك على أنه من أهم المعالم الأثرية و التاريخية بالولاية حيث تعود نشأة هذا الحي العتيق إلى القرن 16م ، فسوق الأعشاش عالم متفرد تجد فيه الإسكافي، اللحام، الخياط، العشاب، الطباخ... كلها حرف تطل عليك بمحلاتها و دكاكينها الضيقة القديمة، أشخاص لم يلتحفوا رداء التطور بل حمووا حرفا توارثوها أبا عن جد، هم أصليون في تفكيرهم الذي لا حدود له، طيبون بمحياهم و ابتساماتهم العفوية و ترحيبهم الدائم، كرماء كلهم جود و سخاء و عطاء و عند المرور في السوق أو استقبالك عند أولئك الحرفين تعبق رائحة المواد في دكاكينهم و تقودك الروائح الطيبة إلى دكان العشاب و الذي أصبح محله لكثرة ما فيه من كنوز الطبيعة غابة في شكل أكياس مكتنزة بأعشاب وعقاقير وبهارات لا شك في شك في صدق بائع لا يغالي لتشتري منه، إنه فقط يعطيك بطاقة فنية عن كل عشبة ، ناهيك عن أنواع لفافات الصوف بألوانها المتميزة و الجذابة التي إصطفت في الدكاكين و المتاجر، و الأكلة الشعبية التي تميز بها المجتمع السوفي عن بقية مناطق الوطن دوبارة الحمص أو الفول وبفضل رائحتها الفواحة أصبحت تجر كل من يدخل السوق إلى تناولها و ترجع تسمية الدوبارة الأولى عند السوافة إلى كلمة (دبر راسك) أي فكر كيف تجني غذائك اليومي فهي إبداع سوفي بإمتياز و هي عبارة عن مزيج من الخضر المركبة الجافة والطازجة كالحمص، الطماطم، الفلفل، و زيت الزيتون إضافة إلى بعض التوابل و البهارات التي تضيف لها نكهة خاصة و تعتبر أكلة شعبية بإمتياز سريعة و غير مكلفة و هي جد مطلوبة إلى حد الآن خاصة في مواسم البرد لاحتوائه على الزيوت و الأحماض و الفلافل الباعثة للدفء و

[1] الرواية، ص 52.

الحرارة كما أن العائلات السوفية لا تزال تحافظ عليها كثيرا و تصنع حتى في البيوت و هي نوعان دوبارة الحمص، و دوبارة الفول.

إضافة إلى ذلك مشروب اللاقمي المستخلص بلونة الرمادي المائل أحيانا إلى العسلي من قلب النخلة الذي يتوسط حزام من الجريد (أوراق) الملتفة حول نفسها بأعلى قمة النخلة، "حيث يقوم بعملية إستخلاصه حرفيين يتقنون عملية التسلق التقليدي للنخيل لأنها عادة ما تكون شامخة مما يستلزم تسلقها مرتين في اليوم الأولى مع شروق الشمس مباشرة و الثانية قبل الغروب، و يستعمل الشخص الموكل إليه مهمة إستخراج اللاقمي الذي يسمى "باللقام" أو "الحجام" أدوات حديدية حادة مصنوعة تقليديا في تقليم هذا الجريد، ثم ينتقل إلى مرحلة تقشير الجمار (قلب النخلة) مع و ضع فتحة في قلب النخلة ومسار لربط قلب النخلة بإناء يتلاءم حجمه مع كمية تجميع عصير اللاقمي، بعد عملية التي تدوم 04 أيام تقريبا"[1].

و يعتبر عصير اللاقمي عصير طبيعي محلى بامتياز تحضيرا و إعدادا و شربا لجأ إليه ساكنة المنطقة منذ أمد طويل لمقاومة العطش مع الانتقال المناخي من فصل الشتاء إلى فصل الربيع و هي البدايات الأولى للحرارة سيما في فصل الصيف و يظل هذا المشروب التقليدي الأكثر رواجا في عادات الإستهلاك لساكنة الوادي و هو مشروب لا غنى عنه في قاموس المواد الغذائية الطبيعية المستهلكة محليا.

و في يوم الجمعة موعد السوق الأسبوعية يقول الروائي: "و في يوم الجمعة موعد الأسوق الأسبوعية، التي تعتبر تظاهرة عظيمة يحضر لها و يشارك فيها مجمل سكان سوف من كل مدنها وأريافها، حيث تزحف السوق و لا يوقف تقدمها سوى الغيطان المحيطة بالمناطق السكانية"[2].

حيث تعتبر الأسواق الأسبوعية بالوادي متنفس العديد من العائلات السوفية خاصة بالمناطق و البلديات النائية و المعزولة التي تنعدم فيها الحركة التجارية العادية من محلات

[1] لقاء إفتراضي مع الباحث بن علي محمد الصالح يوم 16 ماي 2024، على الساعة 10.00 صباحا.

[2] الرواية، ص 52.

أو مراكز تجارية لائقة، و المشقة التي يتكبدها سكانها لإقتناء حاجياتهم المعيشية الضرورية، و التي وجدوا في السوق الأسبوعية الحل الجيد لمعاناتهم من توفر السلع بأنواعها الكثيرة و المختلفة و بأسعارها التنافسية المناسبة.

"أما الوسيلة التاريخية للنقل فيها فهي العربات التي تجرها الأحمرة والبغال و تسمى الكريولة أو الكريطة و التي اختفت من السوق إلا حديثا لتحل محلها الشاحنات الميكانيكية بشتى أحجامها"[1].

فيفد التجار إلى السوق محملين بمختلف السلع و البضائع و هم عادة يصنفون تلك الخضر و الفواكه فوق عربات تجرها أحمرة تعرف بالكريولة*[1] و التي كان سوق الوادي يعج بها بل و تسبب ضغطا على الزبائن و ازدحاما في المرور حيث كانت مساعدة للتجار يحملون فوقها كل شيء و يركبونها و كان بعضهم يملكها و البعض الآخر يؤجرها ، فهي الوسيلة التقليدية الفعالة التي يعتمد عليها الأهالي في حمل بضائعهم و تنقلاتهم في السنوات الماضية و يتولى قيادة تلك العربات شباب صغير في السن، عاطل عن العمل عادة ما يكون من العائلات الفقيرة والمعدمة.

"تعتبر هذه السوق المتلقى التاريخي الهام الذي يتوافد عليه السواقة من كل قرى و مداشر سوف و من خارجها... فهي سوق للتراث لا تجمع البضائع بشتى أنواعها فقط، بل ترى فيها العادات و التقاليد، كما تتجسد فيها الشخصية السوفية المليئة بالحيوية و الذكاء و النشاط في أبهى حللها"[2].

---

[1] الرواية، ص52-53.

***الكريولة:** نوع من العربات المستخدمة في القرنين 18 و19م كانت مركبة خفيفة صغيرة ذات عجلتين أو أربع عجلات مفتوحة أو مغطاة يجرها حصان واحد، الاسم فرنسي مشتق من الاتينيةcorrus، مركبة.

- منير البعلكي، رمزي البعلكي، المولد الحديث: قاموس نجليزي عربي، ط1، بيروت، دار العلم للملايين،2008، ص191.

[2] الرواية، ص53.

كان سوق الوادي هو المركز التجاري الهام، الذي يتوافد إليه الناس من كل مناطق سوف، حيث يتم إنعقاد سوق الجمعة الأسبوعي الذي يتميز بنكهته السوفية الخالصة فإذا أراد المرء أن يعرف حياة السوافة و عاداتهم فعليه أن يعرفها من خلال سوق الجمعة التقليدي ، فهو ظاهرة سوفية بحثه فهو لا يجمع السلع والبضائع لبيعها فحسب ، بل فيه تراث السوافة و عاداتهم وتقاليدهم كما تتمثل فيه الشخصية السوفية المليئة بالحيوية و الذكاء و النشاط بكل مقوماتها و أبعادها النفسة و الاجتماعية و الاقتصادية ، سوق الجمعة نموذج حي متحرك يعبر بصدق عن المجتمع السوفي و ينقل صورة حية عنه، إذ فيه الطرافة و الحكاية و الغذاء و الدواء و مختلف العادات الاجتماعية التي يمتاز بها أهل سوف على مر التاريخ والعصور، كما يعتبر ملتقى إعلامي هام حيث تتم فيه اللقاءات و تضرب المواعيد و يتم فيه الإعلان عن حالات الوفاة و الاجتماعات و كل ما يريد المسؤولين تبليغه للناس.

" ففي ليلة كل خميس يبدأ التحضير للسوق، فيجلب الفلاحون والتجار من كل قرى سوف سلعهم و يصففونها و يرتبونها، استعدادا للغد، يبدأ البيع منذ الساعات الأولى لفجر يوم الجمعة"[1].

يبدأ التحضير لسوق الجمعة إبتداءا من ليلة الخميس حيث يقوم التجار بترتيب سلعهم و تنظيمها و ينامون في الليل إلى جوارها في الهواء الطلق، حيث يبدأ البيع منذ الصباح الباكر من يوم الجمعة و ينتهي في منتصف النهار حيث يبدأ آذان الصلاة، حيث كان رب الأسرة يجند كافة أبناءه صباح الجمعة و يتجهون إلى السوق لإقتناء ما يلزمهم من خضر و فواكه و بقول ... يستهلكونها على مدار الأسبوع حتى إذا حلت الجمعة الموالية تجدهم يقومون بنفس العملية، هكذا إرتبط سوق الجمعة بحاجيات المواطنين و اقتصادهم فكان شراء الخضر لا يتم إلا بسوق الجمعة، حيث تورد السلع من كل المداشر و التي أغلبها ينتج محليا، فلا تجد غوط في ذلك الوقت لا توجد به مزرعة صغيرة لإنتاج البصل، الطماطم الدلاع ، البطيخ، و الفلفل فكانت مدينة الوادي تعرف الإكتفاء الذاتي من الخضر المزروعة

[1] الرواية، ص53.

محليا ثم تباع بأسعار منخفضة كما أن الكثير من العائلات تقتات منه حيث تزدهر كل أنواع المبيعات، أما عائدات التجار من مختلف السلع المباعة فهي حصيلة كبيرة ، حيث أن بعضهم يكتفي بدخله من سوق الجمعة ولا يمارس التجارة إلا بإنعقاد السوق الذي يأتيه المواطنون من كل القرى و المداشر البعيدة و حتى من تونس و تبسة و العاتر و تقرت و المغير و جامعة ... فالمعروف عن السوافة أنهم احترفوا التجارة منذ أمد طويل و توارثوها أبا عن جد ومارسوها في شتى المجالات و نجحوا فيها بفضل ذكاءهم و فطنتهم و تمرسهم فيها.

4. العمارة السوفية:

تعرف العمارة السوفية بأنها نمط عمراني يتم بناؤه بواسطة خبرات محلية لأهل منطقة ما، و تتسم العمارة التقليدية بسحر خاص يستهوى العديد من المعماريين لكنه يشير إلى التقاليد كمصدر نظام من جيل إلى جيل... و في هذا السياق يقول الروائي " كان منزلنا في إحدى الأزقة الطويلة المنعرجة ، و قد بني على طراز أهل قمار في العمارة لأن أحد أخوالي كان بناءا و هو من تكفل بذلك، تحت توجيهات جدتي الحاجة الزهرة، فكان الباب الخارجي بحجم كبير مرصع بأشكال حديدية للزينة ، و بحلقتين للطرق واحدة كبيرة يستعملها الرجال و أخرى صغيرة تستعملها النساء، ليتبين لمن بالبيت جنس الطارق قبل فتح الباب، و ينقسم الباب إلى دفتين ، تحو إحداهما بابا صغيرا بحجم قامة إنسان يدعم الباب من الداخل قضيب حديدي يثبت بالحائط في ركن السقيفة الداخلية و نسميه البلج"[1].

تتميز الأزقة بالضيق و يتراوح عرضها ما بين 2 إلى 2.5م و غالبا ما تكون حادة أي ذات نهايات مغلقة متصلة من طرف واحد بالشارع الرئيسي ، تتكاثر الأزقة بشكل منتظم كأغصان شجرة الأرز التي تكون متناسقة، و تتميز عموما باستقامتها تماشيا مع الشكل الأول للبلدة القديمة، يتميز الشارعان الرئيسيان بالاتساع نسبيا حيث يقدر عوضها ما بين 3.5 و 4م كما يتميزان أيضا بالتعرج و الإنكسار على خلاف الأزقة المتفرعة عنهما حيث

[1] الرواية، ص28.

يؤسس في كل منعرج مسجدا أو رحبة*[1]، و يرجع السبب في ظاهرة عدم استقامة الشوارع الرئيسية أهمها تفادي أشعة الشمس الحارقة خاصة فصل الصيف، و كذلك تكسير التيارات الهوائية خاصة الرياح الغربية الشمالية التي تكون باردة و جافة و نظرا للتحفظ الشديد لدى سكان المنطقة فإنهم يفضلون الجلوس في أماكن غير ظاهرة للعيان ، و هذا ما توفره الشوارع المتعرجة.

"و بالرغم من قسوة المناخ خاصة في فصل الصيف فإن شوارع مدينة قمار لم تكن مسقوفة و هذه ميزة كل مدن و قرى وادي سوف على خلاف مدن الجنوب الجزائري ، إلا أن الشارع الواقع شرقي المدينة شكل إستثناءا و الذي كان قد أنشئ عند أول توسعة للبلدة فقد سقف بشكل متناوب بأدماس*[2] كبيرة يتراوح إمتداد كل واحد منها ما بين 07 و10 أمتار و يقدر عرضها بـ 3 أمتار تقريبا"[1].

كما تمتاز مدينة قمار بأبوابها و بقصبتها ذات القباب الشاهقة و بأقواس و مناراتها المرصعة بأشكال حديدية زادتها جمالا و زينة ، حيث ينقسم الباب إلى دفتين يكون إحداهما على شكل باب صغير و نظرا لمحافظة أهل هذه المنطقة و إلتزامهم نجد في كل باب في منطقة قمار حلقتين للطرق ، إحداهما صغيرة و الأخرى كبيرة ، ليتبين لمن في البيت جنس الطارق، فإذا أستعملت الحلقة الصغيرة للطرف تقبل المرأة على فتح الباب ، و إذا أستعملت الحلقة الكبيرة يقبل الرجل على فتح الباب و ذلك لعدم كشف حرمات المنازل تماشيا مع

*[1]**الرحبة:** جمعها رحاب أو رحبات، وهي ما اتسع من الأرض: يقال رحبة الدار أي ساحتها أو متسعها.

– ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، ص 1606.

*[2]**الأدماس:** جمع دمسة وهي عبارة عن شقف نصف أسطواني مجوف يشكل بإستخدام العقود بصفة تكررة بكون تحته دعامات أفقية توضع متعامدة على الجدران الحاملة، وتوضع طوليا على محور أفقي يتحكم البناء في طوله وفق طول الغرفة.

– بن علي محمد الصالح، جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف، دراسة وصفية تاريخية، الجزء الأول، ط1، 2013، ص119.

[1]ينظر: حسونة عبد العزيز، عمارة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 213/10 دراسة أثرية عمرانية، ط1، 2013، ص46.

تعاليم و قيم المجتمع المسلم التي تحث على الستر و الحياء ، أما عن تصميم المباني من الداخل فيقول الروائي: " و المنزل من الداخل عبارة عن ساحة كبيرة غير مبلطة ، مفروشة برمل الصحراء، الذي يجدده جدي من عام لأخر، وغرف متشابهة تصطف في جانبي الساحة، أبوابها زرقاء، بلون البحر، تعلوها قباب ، و مطبخ تقليدي، وبيت خزين ، و ساباط يعطي ظهره إلى الشمس طول النهار و هو عبارة عن فضاء منزلي مسقف بواجهته أقواس، و يعتبر المكان الجماعي المحوري في الدار، حيث يحتكر أغلب الأنشطة النهارية[1]، فالعمارة السوفية أو المنزل أو الحوش كما يطلق عليه أهل وادي سوف هو عبارة عن فضاء كبير مفروش بالرمال الصحراوية فقد عرف بالبساطة في شكله، حيث تصطف جميع غرف المنزل على جانبي الساحة ذات الأبواب الزرقاء عادة، فالأزرق هو لون البحر الذي يعني المساحة، الإبحار، البرودة و الحركة، و الأزرق هو لون السماء الذي يعني الحياة، الطمأنينة، الهدوء و الأكيد أن إستعمال اللون الأزرق السماوي هو إنعكاس لون السماء على أنفس سكان المنطقة، تعلوها قباب فالقبة أعتمدت لتسقيف البيت و ذلك لإنكسار أشعة الشمس عليها و منعها تكديس الرمال وإنزلاق مياه الأمطار عليها، ومنحها هواءا إضافيا لطيفا داخل الحجرات و الغرف في البيت توزع لإستقبال أشعة الشمس و السماح بدوران الهواء في كل سكان ، و لهذا إشتهرت المنطقة يلقب مدينة الألف قبة وقبة بسبب الطابع العمراني، فما يشد إنتباه زائرها لأول مرة هو كثرة القباب حيث تعتلي تقريبا كل أسقف مساكن المدينة و محلاتها وأسواقها ومساجدها ما جعلها تكتسب طابعا عمرانيا من نوعه يميرها عن باقي مدن الجزائر، و إنتشرت القباب بشكل واسع بالوادي خاصة في منتصف القرن 19م، ولهذا النوع من القباب مزايا مقصودة من طرف أهل المنطقة فرضته عليهم طبيعة المنطقة الصحراوية كما ذكرناه سابقا.

[1] الرواية، ص 28-29.

يقوم التخطيط العام للحوش في قمار على مرافق أساسية هي السقيفة*[1] و غرفة النوع، و مطبخ تقليدي و بيت خزين، و ساباط*[2].

فعادة ما تستعمل السقيفة أو دار السقيفة كمكان للجلوس لفترات قصيرة يتبادلن فيها التسوة الزيارات لتفقد أحوالهن و يتناقلن الأخبار، و أحيانا يتعاون على أداء بعض الأعمال المنزلية كطحن الحبوب من قمح و شعير، و تكون دار السقيفة غير مسطحة أي مفروشة بالرمل، و نظرا لكثرة الجلوس بها ما يسبب حرجا لأهل البيت خاصة الذكر، لجأت بعض العائلات السوفية إلى إضافة غرفة جانبية خصصت للضيوف، و هذا ما يعود أساسا إلى طبيعة العائلات السوفية بصفة عامة و القمارية بصفة خاصة المحافظة و التي تتميز بالحياء و عدم الإختلاط أما المطبخ أو ما يعرف محليا بالكانون، يكون في شكل غرفة ضيقة تعلوها قبة، و يجعل في أحد زواياه موقد الحطب لطهي الطعام متصلا بمدخنة لكنه لا يستغل كثيرا إلا في الشتاء أو في موسم الرياح نظرا لبساطة المعيشة حيث كان اغلب الناس يتناولون التمر و الحليب أو كسرة الشعير مع اللبن والماء.

كما يوجد في المنزل أيضا بيت خزين يعتبر العنصر الأساسي في عمارة الحوش في قمار و كل مناطق سوف فهو يعد مرفق ضروري حيث يدخر فيه التمر و الحبوب و كل مؤونة العام من شحوم و دهون و حتى أنواع من الخضر المجففة. "عادة تنجز دار الخزين في الركن الجنوبي الغربي من الحوش ما يجعلها أقل تأثرا بحرارة الصيف"[1].

---

*[1]**السقيفة:** وهي مساحة أو ممر يتوسط مدخل البيت الخارجي، ومدخله الداخلي مهمته الفصل بين الضيوف والعائلة ومنع التكشف عن الحريم.

– بن علي محمد الصالح، المرجع السابق، ج1، ص108.

*[2]**ساباط:** وتنطق في وادي سوف (صباط) ويقال أن هذه الكلمة أصلها فرنسي جاءت من تحريف chambresans portes أي غرفة بدون باب: جاءت كلمة صاباط لأن الصباط في الوادي سوف هو غرفة لها مداخل لكن لا تركب لها الأبواب، وهو في معاجم اللغة العربية سقيفة بين حائطين تحتها طريق.

– بن علي محمد الصالح، المرجع السابق، ج1، ص108.

[1]حسونة عبد العزيز، المرجع السابق، ص 80.

و أخيرا يتوسط المنزل ساباط و هو عبارة عن حيز به أقواس متعددة لذلك فحركة الهواء به كبيرة ، و تأقلما مع فصلي الصيف و الشتاء فقد يبني ساباط ظهراوي و ساباط قبلاوي، فالساباط الظهراوي يبنى في الجهة الجنوبية من البيت حيث تكون و جهة بابه نحو الشمال تفاديا لأشعة الشمس الحارقة و يستعمل عادة في فصل الصيف، أما الساباط القبلاوي فيبنى في الجهة الشمالية من البيت و تكون و جهة بابه نحو الجنوب حتى يكون عرضة لأشعة الشمس و التدفئة الطبيعية و يستعمل في نهار فصل الشتاء.

كان الساباط يمثل مجلس العائلة و مكان القيلولة، فهو المكان الأكثر برودة صيفا و يمثل الساباط في الحوش هيكلا أساسيا لا يمكن الإستغناء عنه، زادت أهميته بترسخ نمط الحياة الحضرية لدى السكان، حيث لم يعودوا يقضون أغلب أوقاتهم خاصة في فصل الصيف في ضواحي البلدة كما إعتادوا سابقا، و أصبحت الكثير من النساء خاصة الكبيرات في السن يشغلن أنفسهن بأعمال منزلية مختلفة كحياكة الصوف و النسيج ، و صناعة السعف و اللين أو الحبوب وغيرها والتي تمارس عادة بالساباط و زيادة على كل ما سبق بالدار سقيفة في مدخلها مباشرة كما نسميها "دار باب الحوش"، و كذلك مرحاض بدائي، فهو عبارة عن حفرة كبيرة غطي قسم منها و مد على قسمها المتبقي خشبتين"[1].

تقع مدينة قمار ضمن نطاق المناخ الصحراوي الذي يتميز بشدة الحرارة صيفا حيث تصل أحيانا إلى 50°م حتى تكون الرمال متوهجة و البرودة شتاءا بسبب قلة التساقط حيث تنخفض درجة الحرارة أحيانا إلى ما دون 0°م خاصة في الليالي السود[*1].

5. الوادي كفضاء ريفي:

تعد منطقة وادي سوف منطقة ريفية بحكم الطابع الصحراوي و المناخ القاري الذي يتميز بشدة الحرارة صيفا وشدة البرودة شتاءا لجفافه، ففي أغلب أيام الصيف قد تتعدى

---

[1] الرواية، ص 29.

*[1] **الليالي السود:** هو نوع من التقويم عند فلاحي المنطقة ويقصد بها آخر ليالي الشتاء الباردة وتمتد من 14 إلى 02 فيفري من كل سنة.

– حسونة عبد العزيز، المرجع السابق، ص 13.

درجة الحرارة 50° و في بعض ليالي الشتاء تنخفض إلى ما دون الصفر، و الرياح تعرف بحسب مصادرها و اتجاهاتها و تأثيرها على الطقس و منها الشهيلي[1*] الذي يأتي من جهة الجنوب و يتميز بشدة حرارته، و جفافه ، أما البحري[2*] فهو ريح رطب يغش الإقليم ببروده منعشة ويهب من الجهة الشرقية وبالتحديد من خليج قابس.

يقول الرواي: "يتشكل سطح أرض سوف الصحراوي في الغالب من كثبان الرمال لكن على عكس ما يظن الناس عند تخيل الصحراء، فنجد فيها كذلك أودية و سهولا، و حتى الجبال أحيانا، تضاريس منطقة سوف جد قاسية و غير مساعدة على إنشاء حياة بشرية جماعية و تطويرها ، لكن السوافة تمكنوا من ذلك و يعيشون إلى الأن بمئات الآلاف، كخلايا النمل في مدن وبساتين حفروها في الكثبان الرملية المترامية الأطراف التي تحيط بهم من كل جانب"[1].

فالبرغم من قساوة المناخ رفض أهل المنطقة الاستسلام للصعوبات التي تواجههم عند مزاولة نشاطهم، حيث كانت ولاية الوادي سياقة إلى و ضع استراتيجية فلاحية أتت بنتائج جد إيجابية رفع من خلالها الفلاحون التحدي وواجهوا بها كل الظروف الصعبة فكان النشاط الزراعي الأول في وادي سوف يتمثل أساسا في غراسة النخيل التي تعتبر الدعامة الأساسية للإقتصاد المحلي، وعملية إنشاء غابة نخيل تتطلب حسن إختيار المكان المناسب، ثم حفره حتى الاقتراب من المياه الجوفية، بحيث يطمئن الفلاح على بلوغ جدور النخلة الممتدة إلى تلك المياه، بعد ذلك تأتي عملية إزاحة الرمال الكثيفة و هذه الأعمال بالغة الصعوبة و تستدعي قدرا كبيرا من العزم و الصبر والخبرة و لا سيما في ظل الظروف المناخية الصعبة فقد عرفت المنطقة قديما بزراعة نبات التبغ في المنطقة قمار و غراسة النخيل و إنتاج

---

*[1] **الشهيلي**: هو ريح حار محرق و هو لا يهب إلا بمقدار 15 يوما في السنة جاف صحراوي.

– بن سالم بن الطيب بالهادف، سوف تاريخ وثقافة، مطبعة الوليد، د.ط، د.ت، ص 50.

*[2] **البحري**: ريح صيفي منعش لكنه يعمل على حركة الرمال آن من الشرق، في إتجاه الغرب.

– نفس المرجع، ص 50.

[1] الرواية، ص 31.

التمور سيما تمر دقلة نور و إنتاج الخضر، لكن بعد الاستقلال بدأ الفلاحون يطورون أساليب الزراعة و تقنيات السقي ، و في السنوات الأخيرة تخلوا عن زراعة التبغ و توجهوا بفضل تقنيات الرش المحوري إلى منتوجات أثر مردودية و مدخولا ، و دخل النشاط الفلاحي شباب جامعيون و مهندسون فلاحيون متمكنون مستخدمون لتكنولوجيا الاتصال و الهواتف الذكية للتحكم في تقنيات السقي و درجات الحرارة عن بعد.

و منطقة قمار هي جزء من منطقة سوف التي احتلت الريادة على المستوى الوطني في زراعة البطاطا، مع تطور الزراعة وتقنياتها في المنطقة وبفضل استثمار الفلاحين في هذا المجال حققت البطاطا نجاحا باهرا يبعث على الطمأنينة ، فالجزائر كلها الآن تعرف أن بطاطا وادي سوف من أجود الأنواع في السوق، كما يدرك الجميع أن بطيخها ذو جودة عالية، بالإضافة إلى الطماطم و كل أنواع الخضر التي تباع في الجزائر إلا الوادي سوف نصيب فيها.

و مثلما نجحت البطاطا نجحت زراعات أخرى في قمار كالكاوكاو، القمح بكميات تجارية ، الشعير، الذرة ، الطماطم بكميات كبيرة تسويقية.

لقد كان للعوامل المناخية تأثير مباشر على أنشطة أهل المنطقة قديما و حديثا فحاولوا التأقلم معها في ممارسة النشاط الزراعي و ذلك بتحويلهم منطقة الوادي من صحراء قاحلة إلى صحراء خضراء منتجة و مستصلحة تتخللها مساحات زراعية شاسعة تزخر بالعديد من الخبرات فوق الأرض و تحتها بالرغم من الظروف القاسية التي يمارسون فيها نشاطهم نظرا للحرارة المرتفعة و الأراضي البور التي يصعب استصلاحها كون الرمال تغطي عليها و رغم ذلك تحدوا كل العصاب وجعلوا صحراءهم مصدرا لمختلف الخضر و الفواكه وجعلوا في متناول الجزائريين على مدار السنة بعد أن كانت تتوفر في مواسمها فقط، بالإضافة إلى تصديرها إلى بعض الدول الأوروبية على غرار روسيا وإسبانيا وكذا بلدان من الشرق الأوسط على رأسها قطر التي أبت إلا أن تكون لها حصة من منتجات الوادي و أصبحت ترسل طائراتها لجلب المحاصيل الزراعية على رأسها البطاطا ، الأمر الذي حل

بعض مشاكل التصدير التي تواجههم ورفع عنهم الضغط و هم التفكير في مصير المنتجات الفائضة بعد أن حققوا الاكتفاء الذاتي المحلي وجابت منتجاتهم كل الأسواق الوطنية و ارتبطت هذه الأخيرة بالجودة.

أما في حديثة عن السوافة فيقول الروائي:" نحن دمنا مختلط ومن عدة أعراف ، لكننا إستطعنا أن ننصهر وننسجم مع بعضنا البعض ... أغلبنا بشرته داكنة، بنيته قوية ، لون شعره و لحيته أسود، ولون أعينه بني قاتم، أستان غالبيتنا صفرا ، ردينه بفعل الإكثار من أكل التمر "[1].

فالسوافة حتى و إن كانوا يظهرون تجانسا في طابعهم العام من الوهلة الأولى، فإن دم هؤلاء مختلط كثيرا، هذا ما توحي به بعض الدلائل التي تدخلت في تكوين هذا الجنس، لأن الأكيد أن كل الشعوب التي مرت من هذه المنطقة تركت شيئا من دمها هنا فأغلبهم بشرته داكنة أطرافهم سمراء و ذلك بسبب إنعكاس أشعة الشمس الحارقة و المناخ الصحراوي الجاف، بنيتهم قوية حيث تعطي الطاقة المبذولة في جميع الأحوال و في كل حركات الجسم، حركية للعضلات و راحة في كل وقت للنشاط البشري في هذا الكفاح الدائم ضد الرمال ، أسنانهم في الأغلب صفراء و مسوسة و ذلك بفعل تناولهم المفرط للتمر كغذاء ، خاصة ذلك الذي لم يصل إلى النضج بعد و يمكن أيضا أن مادة سلفات الكالسيوم التي تدخل في تركيب ماء البلد تساهم بقسط كبير في ذلك[2].

و يقول أيضا: "نحن الشعب الأكثر بشاشة من بين كل شعوب شمال إفريقيا، و الأكثر طرفة وتنكيتا، مما يتناقض مع صعوبة بيئتنا وقسوتها وربما كان ذلك إختيارا استراتيجيا لمواجهة القساوة التي تحيد بنا، نحن كذلك طيبون جدا و هادئون للغاية ، لا ننجذب بسهولة للانفعال والتهور ونحب الحكمة ونميل إلى الرواية في معالجة الأمور و الأحداث".[1]

[1]الرواية، ص 32.

[2]جستون كوفي، مذكرات حول سوف والسوافة، تر: عبد القادر ميهي، ط1، 2016، ص 19-80 .

فسكان سوف في مجملهم هم الأكثر بشاشة في إفريقيا الشمالية، السوافة قوم هادئون طيبون، ظرفاء، منفتحون يسهل التواصل معهم أذكياء، مسالمون بطبعهم وليسوا كسالى بالمرة ، يقظون نشطون، يتكلمون و يمزحون و يضحكون كثيرا، فهذا النشاط الجسدي و الفكري و هذه الجدية و المثابرة في العمل يشكلان أحد الطباع الأكثر بروزا لهذا الشعب الصغير.

فالسوفي لن يتهرب أبدا من العمل و في ساعات النهار الأكثر حرارة تراه منشغلا في مزرعته دون ملل أو كلل ودون توقف.

أما في الحديث عن الفرق بين أهل قمار و الوادي فيقول الروائي: " و يرى أهلي في الوادي أنهم يملكون شخصية قوية و إقداما و جرأة على صعاب الحياة ، بحكم ماضيهم البدوي الذي يفرض المغامرة وتحدي الأخطار المحدقة بهم من كل جانب ، و أن إستقرار أهل قمار هو الذي جعلهم أقل جرأة منهم، و يشترك الفريقان في الكرم و الضيافة و الذكاء و الطرفة والصرامة في العمل، و الأمانة المتأصلة فيهما"[1].

فعندما نبحث في تاريخ هاته المنطقة نجذ أن الفرد السوفي تمسك بهاته الربوع الحارة و تأقلم معها لأنه هو الذي صنعها و ذلك بأنهم أناس بسطاء تحدوا قساوة الصحراء و بإرادة من فلاذ تجاوزوا كل العقبات و الحواجز بحكم ماضيهم البدوي الذي فرض عليهم المغامرة والتحدي لهاته الصعاب.

في حين نجد أن أهل قمار يتسمون بالهدوء و الحكمة و التعقل و الذكاء و الفطنة و أن دور المرأة مهم في المجتمع و لها مكانة حيث تعتبر سيدة بيت مميزة ذكية تحافظ على تماسك أسرتها و التضحية من أجل أبنائها و عائلتها، مضحية و شريكة إقتصادية لزوجها و بما أن المنطقة معروفة منذ القدم أن ساكنتها شغوفون بالعلم و التربية و التعليم فإنهم كانوا من الأوائل الذين حرصوا على تعليم البنات و إعطائهن الحق مثلهم مثل الذكور فكانت المرأة متحررة تذهب للدراسة و العمل... إضافة إلى ذلك تمسكهم بالسلم و العفو و التسامح و

[1] الرواية، ص 44.

التعاضد فيما بينهم كذلك ترحيبهم و حبهم لكل مقيم و متعامل تجارة من أي كان ، هذه الميزات الإنسانية الراقية نتيجة التنشئة الموفقة لدى الأسرة القمارية فيما بينها و مع غيرها بفضل الدور الريادي للمرأة القمارية.

و يشترك كليهما في الكرم والجود والضيافة فالمعروف عن منطقة سوف أنها مدينة مضيافة، كذلك يشتركون في الذكاء والفطنة خاصة في مجال التجارة و الاخلاص والعزيمة في العمل والأمانة المتأصلة فيهما.

6. الجزائر العاصمة كفضاء مدني:

" و كأنهما أدركا بحسهما السوفي منذ تلك اللحظة بأن المدن الكبرى و العواصم لا تعاش بنفس الراحة والمتعة لكل ساكنيها، منهم من فيها يعيش ومنهم من فيها بالكاد يحيا.

و منه فإن بالرغم من أن الجزائر العاصمة مدينة معاشة مضيافة متعددة الثقافات إلى أن شيشا لم يستطيع التأقلم والعيش في العاصمة بحكم من ماضيه البدوي وذلك في قوله التالي: "لو أننا نقدر على العودة إلى بلادنا لكان أرحم لنا وأستر وأكرم لكن الزمن كان علينا قد حكم ورفع الجلسة" هنا شيشة بين أن الزمن هو الذي جر عليه للبقاء هناك إلا أنه يتمنى عودته لبلاده واد سوف للتعايش و البقاء و الصحراء و يعود إلى حياة البادية الذي يسكنون الخيام ويعيشون على رعي الغنم و ينتقلون من مكان إلى آخر فحياة البدو هي أصل.

شيشا لم يستطيع التأقلم في العاصمة لأن الجزائر واسعة متعددة الثقافات لكن شيشا يرفض ذلك ويفضل حياة البدو و ماضيه الجميل فثقافة البدو تكمن في الحياة القديمة فهي تدور حول مواشيهم و خيامهم وأيضا الطبيعة وتغير الفصول و الأكل التقليدي و أيضا اللباس و تطلق عليهم البدو جاءت من البادية بمعنى الصحراء فهم سكان الرحل و التنقل يمارسون الهويات الأصلية المتوارثة من الأجداد القدامى.

الفصل الثانـي

تحولات الشخصية ونسق الاغتراب

رواية "الكناس".

1. البطل الإشكالي: شيشا:

شيشا بطل إشكالي في رواية الكناس انتقل من فضاء ريفي صحراوي إلى فضاء مدني حضري، جعل من معاناته وإحساسه بالغربة يتفاقم نتيجة عدم قدرته على التأقلم لأسباب شتى نرصدها من خلال تتبع مسار حياته و تحولات شخصيته ونسق الاغتراب في الرواية.

"يعد البطل في الرواية التقليدية شخصية مقدسة تتصف بالكمال و القوة و الشجاعة لإرتباطه بالآلهة وأنصاف الآلهة ، فقد نسج الأدباء والمفكرين حول البطل الكثير من الأساطير المعرفة في الخيال غير فارقين بينهم وبين آلهتهم في صورة الحياة الأحداث" [1] لأن الإنسان ذلك العصر إنساق وراء هذا النوع من الأبطال الخارقين القادرين على حمايتهم و إخراجهم من مصاعب الحياة.

"و نحن لو إتخذنا النماذج البطولية المشهورة نماذج شاهدة على ذلك، لرأينا أن البطل كان صورا إقليمية لنموذج أعلى (arche type) ، و إرتضته البشرية و اسقطت عليه – في كل منطقة – مثلها التي تنشدها هيئة و سلوكا و فكرا[2].

"أما في العصر الحديث، تغيرت النظرة إلى البطل عما كانت عليه من قبل، فأصبح يرتكز على الحدث أي المضمون وما ينجر عنه من تسلسل الأحداث في إطارها الزماني فالرواية الحديثة تعتمد على النظام والتمركز الطاغي حول الذات و الإرباك.

اختفى البطل تماما في الرواية الحديثة و المعاصرة لأن الإنسان لم يعد موجودا كذات[3]، بسبب أن الحياة الجديدة فرضت عليه بما حملته من تطور سريع و مرعب الضبابية، و الغموض، فزالتها قيم الإنسان الأصلية أو النموذجية التي استمدتها من أمنه أو

---

[1] حابي فايزة وأخرون: شخصية البطل في رواية المرأة والوردة لمحمد زفزاف، مذكرة ماستر كلية الآداب واللغات قصص دراسات أدبية، جامعة أكلي مسند أولحاج، لبويرة 2020م، ص21.

[2] حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى عام 1913، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان،ط1، 2001م، ص 19.

[3] المرجع نفسه، ص 22.

من التاريخ ، وصار الإنسان مختلفا من ثقل هذه الحياة الجديدة التي يكاد يتنفس أو يحس بذاته فيها، يده مشلولة وإرادته مكبلة بالعجز أمام هذا التطور الذي مس الحياة اليومية من وسائل قضت على كل حركة و فطرة في الانسان من ذلك زال البطل كمحتوى أساسي و تحول إلى مجرد شخصية عادية لا تسلط عليها الأضواء، فهو عادي في صورته الخارجية لكنه ظاهر و بطل من حيث محتواه الداخلي والنفسي، وبهذا المحتوى تتجلى الكهوف المتظلمة الواقعية من النفس الإنساني.

و كذا فموت البطل في الرواية الجديدة هو موت الشكل الظاهر و الموزفولوجيا الفتارية والعجائبية، أما المحتوى الداخلي للبطل فقد أخذ منحى هذه النفس الإنسانية التي إكتوت بالضجر و العجز من جراء تفسخ قيم الإنسان النبيلة، مما أفرز بطلا يعيش للسقوط من أقل و هلة سلوب الإرادة يتقاسم البطولة مع الشخصيات الأخرى التي تساعده في تشخيص معاناته.

و هكذا صار مفهوم البطل في الرواية الجديدة يمثل صراع الجماعة في سبيل التغلب على هذا الاستلاب[1] و لم يعد البطل فردا واحدا و إنما مجموعة من الشخصيات المتعددة الأدوار قد تكون رئيسية دائمة الحضور أو حتى ثانوية تظهر من حين لأخر داخل السرد.

لم تعد للبطل أهمية داخل الرواية إلا وعيه الاجتماعي وأساساته لذلك استند الروائيون إلى الطرق النفسية والفلسفية، والحوار الداخلي للتمثيل قمة الاستلاب الذي أضحى يعيشه بطل الرواية الجديدة ، و بالموازاة مع ذلك لم تعد الرواية تنقل شعور البطل ووعيه وحدهما بل أضحت تنقل "روح القبيلة أو الجماعة وشعور كل الناس"[2].

و من ذلك تحول مفهوم البطل إلى مجموعة الفاعلة في الرواية متنوعا، تجسدت فكرة الرواية و ذلك على الأبعاد المتباينة على البطل القديم، أثمرت مفهوم البطل الجديد أن صنع

[1] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1991م، ص 535.

[2] ألبير، تاريخ الرواية الحديثة، تر: جورج سالم، منشورات عويدات بحر المتوسط، بيروت، ط2، 1982م، ص 440.

وحدة روحية بين القارئ و البطل (الشخصية الفاعلة) حول مفاهين الحياة ، و اقتربت الفجوة بين القارئ و البطل مما سيتيح مناقشة الموضوع الذي ترمي إليه الرواية في دائرة إهتمام موسعة.

إن رواية سليم عبادو "الكناس" ترصد لنا عن لسان بطله "شيشا" ما يبطنه المجتمع من أفكار ومشاعر و هموم و مآسي تظهر من خلال حواره الداخلي الذي يعبر عما أصاب الانسان من إحباط و خيبة و مصير تعيس أمام تحديات المجتمع و ما تفجر عنه من قيم متداخلة ، و صراعات فكرية حادة إن بطل الرواية المعاصرة يراهن يتحدى و ينكسر، يعكس إيمانا متزعزعا و خيبات متتالية ، ذلك هو بطل اليوم بكل مواصفات الواقع الراهن.

"متى تنتهي حياة الضنك هذه التي تعيشها؟ إن لم تنتهي فيجب عليك أن تنهيها بنفسك، كيف كنت؟ و كيف أصبحت ؟ هربت من أهلي السوافة و من بلدتي وادي سوف إلى هنا لعلي أنجو من القهر و الشماتة ، ولكن يبدوا أن القهر يتبعني والتعاسة تنسج كل يوم من حولي كالعنكبوت و كلما تحركت محاولا التحرر إلتفت علي خيوطها أكثر فأكثر"[1].

إن شخصية شيشا عانت من الاغتراب الاجتماعي اغتربت إلى فضاء مدني ممثلا في الجزائر العاصمة حيث هرب من شماتة أهله السوافة.

"يعرف الاغتراب الاجتماعي على أنه الاغتراب من المجتمع و مغايرة معايير الشعور بالعزلة و الهامشية الاجتماعية و المعارضة و الرفض و العجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي[2].

إغتراب شيشا عن أهله نتيجة الأزمة التي تعرض لها ، و عدم قدرته على التكيف مع إنتكاس و ضعه المالي و الاجتماعي جعلته يعاني من اليأس و الاكتئاب.

[1] الرواية، ص 23.

[2] عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم النفس وعلوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2007-2008، ص 44.

(تملكني شعور باليأس، لم أظن لحظة أني سأنجو منه فقد كانت الدنيا تضيق من حولي وبدأت أحس بضغط على قفصي الصدري، و العتمة تحاصر فكري و مهجتي، حتى توقعت أنه يمكن أن يتوقف قلبي عن الخفقان في أي دقيقة)[1].

كما يتجلى الاغتراب النفسي في الشعور بالقلق و الكآبة التي تصيب الانسان (حاصرتني أفكار سيئة، تنم عن إكتئاب حاد، ماذا تفعل يا شيشا غريبا في بلد الناس؟ محتاجا بلا صديق و لا ابن عم يشفق عليك)؟[2].

كان شيشا يعاني من كآبة وقلق وكثرة الأسئلة التي تدور في ذهنه تشتته أكثر فأكثر و يتعالى عنده الإحساس بالذنب تجاه عائلته "إبنتك تضيع يوما بعد يوم أمام عينك و لا تستطيع إنقاذها و زوجتك تحترق كالشمعة من أجلك في صمت و أبنك أصبح يعتبر عاملا مؤقت كحمال في الميناء مصدر سعادة![3].

إن التحولات و الأزمات العنيفة التي عاشها شيشا جعلته يتذكر بمرارة كيف كان في سابق عهده و كيف أصبح.

" بدأت دموعي تنهمر دون إذن متى – و شريط حياتي يمر أمام عيني بتفاصيله الدقيقة"[4].

أخذ الراوي سرد تفاصيل حياته من خلال إسترجاع أحداث للماضي الخاص به.

يعد الاغتراب الزماني من الأمور الغامضة لأن الإرتباط بين الانسان و الزمن أكثر غموضا من الارتباط بينه وبين المكان ثابت نسبيا و الزمان فمتغير و بالتالي فتأثيره النفسي

[1] الرواية، ص 22.

[2] الرواية، ص 22.

[3] الرواية، ص 22.

[4] الرواية، ص 23.

على الانسان أكثر غموضا أيضا فالإنسان قد يشاهد معنيا أو يحس بإحدى الحواس الخمس أو بأكثر من حاسة واحدة بينما يحتاج الإحساس بالزمن إلى الحاسة الفكرية أو الذهنية[1].

فلقد عرف على أنه: كل عودة للماضي تشكل بالنسبة لسرد استدكارا يقوم به لماضية الخاص ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة للنقطة التي وصلتها القصة"[2].

ولقد تجسد في الرواية عن طريق مقاطع عديدة تمثلت في استرجاع شيشا لتفاصيل حياته، ولذكريات طفولته و كيف عاش مع جده و والده.

(كنت الفتى المدلل القادم بعد إنتظار طويل) و(عشت طفولتي المبكرة كالأمير من حض إلى حضن حتى جدي المعروف عنه صرامته وعزلته وعدم إكثار الحديث مع أهل بيته، لم يصمد أمام تواجدي بينهم، كان يحملني لساعات على كتفه...)[3]، فهذا استرجاع لذكريات طفولته و لحياة الدلال التي عاشها واصفا نفسه بالأمير لشدة ما عاشه من دلال في كنف جده و عائلته، (كنت أتابع عملهما أنذاك و اشتفق عليهما خاصة أني كلما طلبت منهما أن أنضم إليهم في ذلك العمل المضني، منعاني من ذلك مبتسمين قائلين، تكفل أنت فقط بسقي شتلات الحفر واترك الباقي لنا)[4]، كان العمل في الغوط شاق جدا، فكان جد و والد شيشا يمنعانه من هذا العمل خوفا عليه من المشقة، (الغوط عبارة عن حفرة كبيرة حفرت وسط كثبان الرمال، حيث كان جدي وأبي يرفعان الرمل من وسطه بواسطة القفة التي يحملها، الواحد منهما، على كتفه و يصعد بها الكثيب إلى غاية قمته ليفرغها هناك، عمل شاق جدا)[5]، بعد حياة الدلال و العز التي عاشها شيشا بدأت أول صدماته و هي وفاة والده الحاج بلقاسم.

---

[1] حياة بوعافية: الاغتراب في شعر أبي العلاء المعرى، دراسة موضوعاتية فينة ماجستير، تخصص أدب عربي قديم، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2008-2009، ص 20.

[2] حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص 121.

[3] الرواية، ص 38.

[4] الرواية، ص 56.

[5] الرواية، ص 56.

" و أنا في الثامنه عشر من عمري تعرض والدي الحاج بلقاسم إلى أزمة قلبية فقد على إثرها حياته ... تعرضت لصدمة نفسية ظهرت أثارها علي تدريجيا...)[1]، إن الموت قرينا للفراغ ود الأعليه في الكتابة[2] الأمر الذي جعل الروائي يجعل من الموت نقطة لتغيير مسار أحداث الرواية.

(رحل أبي وترك فراغا رهيبا كان على ملؤه في البيت كما في الحانوت)[3].

إن الموت في حياتنا يمثل فعلا تغييرا لمسارنا وتبديلا لها وإن تحمل المسؤولية ليس بالشيء الهين بعد أن كان شيشا مسؤول الأمن والده أصبح مسؤولا على بيته بأكمله (كان بمثابة السد الذي يدلل له الصحاب... كان بمثابة النابض الذي يكبح شراسة و عدوانية جدي و اندفاعه)[4].

قسم جد شيشا الحانوت بيته وبين إبن عمه "إدريس" (فقسم بيني وبينه الحانوت بعقد رسمي) توالت الصدمات في حياة شيشا حيث توفي جده بعد أن علمه قوانين التجارة (صار تستعجل تعليمي قواعد التجارة وينهرني بسب أخطائي قائلا: إلى متى وأنت تطن أني باق معك سيأخذني الموت أنا أيضا يجب أن تقف على رجليك يا شيشا)[5].

(توفي جدي الحاج علي بعدها ... أما أنا فقد توفي جزء مني ذلك اليوم دفنته معه و بقى جزء منه يعيش بداخلي ولم يتوف إلى يومنا هذا)[6].

رحل جد شيشا بعد أن لقنه قوانين التجارة فأصبح عمله في الحانوت في تجارة التمور يدر عليه ربحا وفير(أما في الحانوت فقد كانت تجارة التمور تدر علينا ربحا وفيرا خاصة في

[1]الرواية، ص 63.

[2]بوهيبة جراح الاشتغال الانساق المضمرة، ص 142.

[3]الرواية، ص 63.

[4]الرواية، ص 64.

[5]الرواية، ص 65.

[6]الرواية، ص 74.

الخريف موعد جني دقلة نور و في الصيف موعد جني الرطب أو "المنقر" كما نسميه)بسبب السياسة العامة للدولة بداية عام 1965 سأت أمور التجارة بعد مشروع الثورة الزراعية.

(تعرضت تجارتي للكساد)[1].

تعرض شيشا لازمة كساد تجارته بسبب الفكر الاشتراكي و سياسة الحكومة أنذاك.

(عشت بعدها فترة عصيبة)[2].

(تمر الأيام وأنا أتخبط مع تجارتي الجديدة غير المربحة كثيرا، فكنت يوما أعانق فيها السماء وأياما أتمرغ في الطين)[3].

امتهن شيشا تجارة المواد الغذائية بعدما أشارت عليه زوجته بها لأنها سهلة الممارسة، و ذات استهلاك يومي منتظم.

إلا أن تغير قواعد التجارة والظروف التي مرت على الجزائر إثر اندلاع الحراك الشعبي والمسيرات الشعبية في كل ولايات الوطن و معارضة الشعب للعهدة الخاصة للرئيس الراحل "بوتفليقة" أدى إلى إغلاق جميع المتاجر والدكاكين وهذا زاد من أزمة شيشا.

(تراكمت الديون علي فأصبحت لا أقوى على المواجهة و أتهرب حتى من الإجابة على الهاتف، فقد انتهت كل المهل والآجال التي كنت أتعهد بها مرارا و تكرارا للدائنين ... ثم شيئا وصل بي الموقف إلى قرع باب بيتي ليل نهار من طرف الدائنين، و أصبح لا يفتح عادة كبلا أصطدم بأحدهم أمام الجيران و تصبح فضيحة)[4].

من أصعب الأشياء في الحياة هو أن تكون مديون لأشخاص تلاحقك بقرع باب بيتك ليل نهار طلبا لرد مالهم ، و الأكثر صعوبة هو عدم قدرتك على رد الدين و الخوف من الفضيحة أمام الجيران و هذا ما وقع فيه شيشا.

---

[1] الرواية، ص 80.

[2] الرواية، ص 88.

[3] الرواية، ص 88.

[4] الرواية، ص 92.

(بدأ خبر إفلاسي يتسرب إلى اللقاءات الإجتماعية و القعدات الحميمية حتى إنتشر كالنار في الهشيم بأسواق المدينة، و عند تجارها و فجارها على حد سواء، فصرت الحكاية المفصلة عند الصالح و المشفق علي والطالح الشامت في)[1].

شاع خبر إفلاس شيشا في السوق بين تجار، فشيشا تاجر في واد سوف و المجتمع السوفي معروف بالجدية في العمل و عدم عيش الفرد من أجل نفسه فقط بل يفكر في صورته أمام الأخرين و هذا إما جعل شيشا يحس بالشفقة و الشماتة في أعين الأخرين.

(عشت شهورا صعبة من الحاجة و الألم ، أخاف من النوم لأني أرى جدي في المنام غاضبا مني بسبب رهني لحانوته...)[2].

إن إفلاس الإنسان يدخله في حالة الشعور بالذنب و تأنيب الضمير و الإحساس بالضعف و الألم جرأ ما وصل إليه ، ليس ذلك فقط بل الشعور بالحاجة لأن شيشا وقتها نفذت كل مدخراته و مدخرات الحاجة وردة (حيث باعت مدخراتها من ذهب).

في محاولة منه للهروب من الوضع الذي آل إليه أشارت عليه زوجته الذهاب للعاصمة، فوافق على اقتراحها.

(انتقلنا للعيش بحي باب الزوار شرقي الجزائر العاصمة)[3].

(فحدثتني نفسي حينها: لو أننا نقدر على العودة إلى بلادنا لكان أرحم لنا وأستر وأكرم، لكن الزمن كان علينا قد حكم ورفع الجلسة)[4].

حال ما وصل شيشا للمكان المسمة بيتنا كما ذكر سابقا أحسى بالغربة و شعر بعدم التأقلم و تمنى العودة إلى بلاده لكن ليس كل ما يتمناه المراء يدركه ، فقد حكم الزمان حكمه عليه، لقد انتقل شيشا من فضاء صحراوي بدوي واسع ورث فيه التجارة عن أجداده إلى فضاء مديني متغول جعل منه نكرة في هذا الفضاء الجديد.

---

[1] الرواية، ص 92-93.

[2] الرواية، ص 94.

[3] الرواية، ص 97.

[4] الرواية، ص 98.

(حاولت مد علاقات مع الجيران دون فائدة، فقد كان أغلبهم لا يرد حتى تحية السلام علي بعد أن ألقيها، لا أدري ربما خوفا من مظهري الذي لا يناسب مع ما ترتدي الناس في العاصمة أو من لوني الأسمر الداكن)[1].

إن الإحساس و إدراك الفروق بين مجتمعه و المجتمع الذي إنتقل إليه زاد من شعور شيشا بالغربة فإختلاف اللباس و اللون و المظهر جعله يشك أنها ما جعلت الناس هناك لا ترد حتى السلام عليه.

أشارت الرواية لنسق اللون، حيث تحول هذا النسق إلى حالة سلبية لشيشا تفاقم غربته عن المكان الجديد.

(حتى أنني تعرضت إلى الإعتداء في اليوم الأول من طرف لص أراد أن يستولي على ما عندي من نقود، فدفعني إلى زاوية و أخرج سكينه و نعتني بالباباي أي الأسود)[2].

إن الشعور في بعض الأحان بالغربة والإحساس بوجود نظرة مختلفة من المجتمع المحيط يمثل ظاهرة سلبية تفاقم الإحساس بالغربة.

نعت شيشا "بالباباي"*من أول يوم و الباباي بمعنى الأسود أي أنه عرف من لونه أنه ليس إبن المنطقة و تعرض لمحاولة السرقة.

إضافة إلى عائق اللون، عائق اللغة حيث أن سكان الصحراء لغتهم أقرب للعربية الفصحة، يقول الروائي على لسان شيشا: (ربما كانت لغتي السوفية القريبة جدا من العربية الفصحة أيضا عائقا بينما كان أغلب سكان الحي يتكلم لغة دارجة تغلب عليها الفرنسية صحيحة و محرفة)[3].

---

[1] الرواية، ص 99.

[2] الرواية، ص 99.

* الباباي: هي كلمة متداولة في اللهجة الجزائرية ومعناها الزنجي أو الأسود، تطلق على سكان الصحراء بحكم بشرتهم السمراء الداكنة والسوداء.

[3] الرواية، ص 99.

كان سكان الحي الذي يسكنه أغلبهم يتحدثون اللغة الفرنسية الصحيحة أو المحرفة و يامو، ياخو للمناداة و يقصدون يا أخي و يا محمد و يكثرون من "قالي" و"قلتلو" أي قال لي و قلت له، على عكس لهجة شيشا السوفية التي يكثر فيها استعمال حرف "القاء" بدل القاف.

اكتشف شيشا بعد مدة عندما بدأ يوطد علاقته مع الجيران أنهم كانوا يظنون أنه خليجيا أو يمنيا إمام مسجد.

"اكتشف بعده مدة عندما بدأت علاقتي تتوطد بالجيران أن أغلبهم كان يظنني خليجيا أو قادما من اليمن و بعضهم الأخر كان يظنني إمام مسجد بسبب لغتي الصحراوية السليمة"[1].

إن مظهر شيشا و لونه و لغته كانت عائق لتأقلمه مع المكان الجيد الذي إنتقل إليه، فكان إختلافا واضحا بينه وبين المجتمع هناك و كان يتضح لهم أنه غريب و ليس ابن تلك المنطقة.

(كان تأقلمنا صعبا للغاية، فقد وجدنا أنفسنا بين ليلة وضحاها في مجتمع ليس له نفس التقاليد و لا نفس نمط العيش و لا نفس طريقة التفكير)[2].

الجزائر لسيت كباقي البلاد التي تتبع جميع سكانها جملة معينة من العادات و التقاليد و هذا التنوع يعود إلى تعدد حضارات وثقافات مختلفة فيها فالجزائر عبارة عن خليط من العرب و الأمازيغ أو البربر كما يسمون و عن جزء ضئيل من الأجانب الأوروبيين ، فكل شعب له ثقافة مختلفة عن الأخر ويصعب عليه التأقلم مع ثقافة الشعب الأخر و هذا ما حصل مع شيشا و عائلته حيث أن الاختلاف بين الشمال و الجنوب إختلاف شاسع ، فزادا من حدة عدم تأقلم و شعوره الدائم بالغربة هو و أفراد أسرته.

[1] الرواية، ص 99.

[2] الرواية، ص 100.

2.الزوجة "وردة" أو "الورد":

عند الحديث عن صورة المرأة تحضر الكثير من الفلسفات و الثقافات المختلفة و لكن ما هو متفق عليه في ثقافة العربية من منظور اجتماعي هو أن كل ما يتعلق بالمرأة يخضع إلى السلبية، حيث يلصق بالمرأة كل الأفاق والمظاهر الاجتماعية السلبية التي تصب المجتمع[1].

إلا أن الراوي كان يرى عكس هذه النظرة حيث أن في المجتمع السوفي كان الزوج نادرا ما يسمي زوجته بإسمها و عندما يتحدث عنها يشير بلفظ العايلة"[2] حيث أن الراوي شيشا "كان يناديها بإسمها و كان يدللها بمناداتها الورد.

(انتقلت إلى غرفتي التي أتقاسمها مع الحاجة وردة أو الورد كما أسميها)[3].

تبدو الصورة الايجابية للمرأة بارزة في الرواية من خلال الكاتب فقد حرص الكاتب على توضيح صورة المرأة السوفية و دورها في تسيير شؤون البيت.

(أما التدبير فقد كان يقع على عاتق جدتي الزهرة التي كانت تسدي بالأوامر لوالدتي رقية و زوجة عمي زوليخة وهما من تقومان بأغلب الأشغال المنزلية طبخ وكنس وحياكة الصوف و النسيج بواسطة المنسج التقليدي الذي نصب في الساباط[4].

فقد كان للمرأة السوفية حق القيادة في شؤون المنزل (لكن القيادة الفعلية في البيت تعود إلى جدي الذي رغم ذلك لا يتدخل في أي شيء من الشؤون الداخلية للمنزل علنا، و حتى و إن طلب منه ذلك فهو يرجع الأمر إلى جدتي كي تأخذ القرار و كان يعجبها ذلك)[5].

---

[1] اشتغال الأنساق المضمرة في الخطاب الأدبي/ وهيبة جراح، ص 204.

[2] علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر(13ه) التاسع عشر (19م)، مطبعة الرمال، الوادي 2019.

[3] الرواية، ص 11.

[4] الرواية، ص 29.

[5] الرواية، ص 29-30.

(فقد أشارت علي زوجتي الورد بأن أقتحم تجارة المنتجات المهربة "الكونطرا" كما نسميها أنذاك[1].

إن المرأة عنصرا مساهما وفعالا، فلم يعد الرجل محور الوجود الاجتماعي، و إنما نشطت المرأة لتشارك في تحقيق الوجود بعد أن كفل لها العامل الاقتصادي حرية الحركة و التفاعل الاجتماعي و هو ما يستوجب من الأديب تاليا أن يكون وفيا للنمط الاجتماعي المستجد، فيستجيب لهذا المتغير، ويقبل المرأة كشخصية نامية لا هامشية أو متلبة على أقل تقدير، تلعب فيما بعد دورا مهما ورئيسا في دينامية الحدث الروائي و تطوره ، فقد صار لها رؤيتها و وجهة نظرها الخاصة[2].

ففي الرواية كان الراوي (شيشا) يشير دائما إلى اقتراحات زوجته الورد المرأة القوية القادرة على إيجاد الحلول وقت الأزمات والشدائد.

(عشت بعدها فترة عصيبة، شفطت فيها كل مدخراتي حتى أشارت علي ورد بتجريب تجارة المواد الغذائية فهي سهلة الممارسة...)[3].

تمثل المرأة السوفية الركيزة الأساسية داخل المجتمع السوفي، و ذلك من خلال الدور المهم الذي لعبته في بناء النسيج الاجتماعي من خلال إسهاماتها في مجالات الحياة المختلفة، رغم عدم إيضافها على امتداد التاريخ، و هذا ناتج عن ذكورية المجتمع الذي لم يعطي للمرأة حقها بحكم أنها ذلك المخلوق الضعيف، فتراوحت مكانتها بين الإدماج و التهميش، و لكن المرأة من خلال تربعها على عرش أسرتها استطاعت إثبات نفسها فكان بها الدور الفعال و المؤثر.

(كان لزوجتي الفضل الكبير في تجاوز تلك المحنة و الورطة التي ورطنا فيها البيروقراطي بقراراته الارتجالية)[1].

---

[1] الرواية، ص 80.

[2] قبيلات، نزار مسند المرأة المتحررة والمرأة المقيدة في الرواية العربية المعاصرة، رواية للكاتبة كفى الزغبي أنموذجا، الجامعة الأردنية 2017، ص 254.

[3] الرواية، ص 82.

قدم الروائي صورة إيجابية للمرأة من خلال روايته (الكناس) و ذلك من خلال إشارته إلى أن الزوجة السند الذي يتكئ عليه الرجل فهي التي تحفظ بيته و عرضه و تصون ماله و تحمل همه، و تربي ولده.

الزوجة الأصلية هي التي تقف خلف زوجها في عمله و حياته تدعمه و تشد يده، فالمرأة قد تكون خير سند لزوجها في المحن و قد تكون عكس ذلك، فبعض النساء عندما يمر زوجها بأزمة ما كأن يقع في محنة أو تتغير ظروفه تتغير هي الأخرى إلى صورة سلبية حتى أنه ليجدها إنسانة أخرى غير التي يعرفها.

(ساءت الأمور أكثر، حين وصلت إلى جد أن الورد بدأت في بيع ذهبها الذي جمعته على مر السنين، و كنت أعلم جيدا أنه كان أثمن شيء و أحبه إلى قلبها من كل الأشياء الأخرى ...)[2].

الورد كانت مثال للمرأة الصالحة التي تدعم زوجها و تبيغ الغالي و النفيس من أجله، باعت كل ذهبها الذي جمعته على مدة سنوات و كانت أحب الأشياء قلبها.

(كعادتها في تقديم الحلول الممكنة و الإستشارة ، أشارت علي الورد بأن أخاها يملك غرفتين على سطح عمارة بباب الزوار بالعاصمة، وقد نصحها بتغير البيئة و المحيط و الذهاب إلى العاصمة للإقامة فيها على الأقل من أجل التخفي عن عيون الناس الشاتمة و الفضولية)[3].

كانت الورد على الدوام تقدم الحلول والاقتراحات من أجل إنقاذ ما تبقى من عائلتها، فهي مرأة صبورة و ذكية تحاول أن تتجاوز مرحلة الافلاس التي أصابتهم و التي (كادت أن تتسبب لهم في إنهار عصبي وشيك.

[1] الرواية، ص 82.

[2] الرواية، ص 92.

[3] الرواية، ص 94.

(تأملت زوجتي الحاجة وردة كعادتها مع الأوضاع البيئية بسرعة إلا أني لم أعد أرى إبتسامتها التي فقدتها منذ مدة بسبب إخفاقاتي المتكررة، لكنها بقيت المحرض الأول في العائلة على ضرورة إستمرار الحياة، و النضال حتى النهاية...)[1].

إن التأقلم على الأوضاع السيئة التي كانت تبديه الورد زوجة شيشا كان فقط من اجل الإستمرار و دعم أسرتها فكانت تقوم بكامل واجباتهم دون هوادة ، لكن خلف ذلك كانت تخفي مرارة الفشل و مرارة المعيشة التي افقدتها إبتسامتها، و هذا دليل على الحالة النفسية السيئة التي كانت تخفيها.

3.الأبناء:

(على قدر الفرح الصغير المخفي بإحكام كنت أراه في بريق عيني مروان وفلة بسبب الانتقال للعيش بالعاصمة و التمتع بمغرياتها و مرافقها التي لا يمكن يحلموا بها في مدينة وادي سوف ناهيك عن الجو المعتدل والمنعش للروح بالمدينة الساحلية العريقة على نقيض مدينتنا الصحراوية القاسية المناخ)[2].

فلة و مروان كانا يحلمان بحياة جديدة غير التي كانا يعيشانها في واد سوف لأن الانتقال من الجنوب الشمال هو حلم لكل ساكني الجنوب و ذلك القساوة المناخ وانعدام المرافق على غرار ما هو موجود في الشمال من اعتدال في الجو و وجود المرافق و الانفتاح في العقليات لذا كانا مروان وفلة متشوقين لحياة أفضل إلا أن هذا لم يدم طويلا.

(أما مروان وفلة فقد انبهرا في البداية بالحياة في العاصمة لشهور فألفا السهر مع الأصحاب و الصاحبات حتى بدأت أخشى عليهما لكن سرعان ما انطفأت شعلة الانبهار فيها)[3].

[1] الرواية، ص 108.

[2] الرواية، ص 97.

[3] الرواية، ص 108.

إنبهار بالحياة في العاصمة و الإعجاب بما فيها سرعان ما تلاشى و كانت أول الصدمات صدمة السكن الذي سيقطنان فيه.

(على قدر الإحساس بالصدمة والحزن الذي نزل كالستار الأسود على مقلتيهما عندما عاينا الغرفتين و المرحاض فوق السطح ، و كأنهما أدركا بجسها السوفي منذ تلك اللحظة بأن المدن الكبرى و العواصم لا تعايش بنفس الراحة و المتعة لكل ساكنيها)[1].

فعلى فقدر الفرحة بالانتقال و العيش في العاصمة بقدر الحزن و الصدمة من المكان سيعيشون فيه و إدراكها أنهم لن يعيش بنفس المستوى الذي كانا يحلمان به.

أ.مروان:

(أظهر مروان صلابة وتأقلما مع الوضع لم يكن يخطر ببالي، فإنخراط في البحث عن عمل، اشتغل في الأسواق بما فيها بعض الأشهر بسوق بوفاريك الذي كنت أعمل فيه و في الميناء، وعند بعض تجار الجملة بالحميز وجسر قسنطينة)[2].

بعدما كان مروان فتى متمسكا بمدرسته وتفوقا فيها تخلى عنها ليبحث عن عمل ليعين به أسرته و والده.

(رغم ما كنا نعيشه من مأساة إلا أنه كان يبهجني ويسعد قلبي سلوكه الجديد الذي أظهر به مستوى إحساسه بالمسؤولية وبه لي و للعائلة الذي تجسد بتضامنه اللامحدود معنا)[3].

على الرغم من الشيء الإيجابي الذي تحلى به مروان إلا أن الأزمات التي مربها جعلته يحاول الهرب منها تعلم عادة تدخين الحشيش.

[1] الرواية، ص 98.

[2] الرواية، ص 108.

[3] الرواية، ص 108.

(أنا شاكرا جدا لزميلي في العمل بالميناء، الذي علمني تدخين الحشيش حيث قال لي: عليك بالحشيش فهو المنفذ الوحيد لك في هذه المهنة الشاقة مهنة تحميل الشاحنات بالسلع طول النهار، فهو يعطيك مقاومة تمكنك من الاستمرار في العمل لوقت أطول)[1].

تلعب العوامل البيئة و الاجتماعية دورا هاما في الاستخدام الأولى للمخدرات حيث يلجأ الشخص الذي يستخدمها كوسيلة للتعامل مع المشاعر غير المريحة و للتخفيف من بعض الضغوطات و الاضطرابات النفسية الشديدة مثل التوتر و القلق و الملل و الاكتئاب... إلخ.

(و هو كذلك مضاد للألم، فلا تشعر بعد العمل بالألم الظهر التي عادة ما تصاحب من يعمل بكد مثلنا، ويساعد كذلك في تجنب الأرق ليلا فهو منوم بامتياز)[2].

و من أهم أسباب تعاطي المخدرات رفقة السوء إذا يتأثر الفرد بتوجيهات و معتقدات زملائه و أصدقائه و هذا ما حدث مع مروان حيث أن زميله أقنعه بمعتقداته بأن سيجارة الحشيش تقضي على التعب و الألم بعد العمل الشاق وتجنبه الأرق ليلا و أنها منوم بامتياز.

ب.فلة:

(فقد انبهرت في تلك الفترة بالعيش هنا مع كل ما تتحه العواصم من ترفيه و بريستيج ، فبعدما تعرفت على بعض الصديقات الجديدات، اقترحن علي أن نسهر معا في أماكن اللهو التي يرتادها أبناء الأثرياء المنتفعين من الفساد في دواليب الدولة ، فقد كان أباءهم ينهبون ألاف الملايين)[3].

بعدما كانت فلة فتاة ملتزمة بدراستها، أصبحت لا تبالي من جراء الوضع المادي التي آلت إليه عائلتها ، و بعد تعرفها على فتيات جرد لم يكن يعجبن والدها.

---

[1] الرواية، ص 203، 204.

[2] الرواية، ص 204.

[3] الرواية، ص 201.

(أما فلة فقد صادقت فتيات لا أطمئن لهن بتاتا، فقد كن يأتينها لاصطحابها من البيت سيارة إحداهن، لم يعجبني منظرهن أبدا فقد كن يمضغن العلك بطريقة استفزازية ، دون حياء، و يتمايلن في المشية، يقهقهن بمك أفواههن، كأنهن عاهرات صغيرا)[1]

إن انبهار فلة بالحياة في العاصمة و بجوها و سكانها وطريقة عيشهم جعلها تحب أن تجاري نمط عيشهن لكنها لم تحسن ذلك فقد وقعت فريسة صحبة السوء. أثرن بمعتقداتهم و أراءهم الخاطئة.

(فشكلنا أنا وصديقاتي شبكة لاصطيادهم و استرجاع الجزء البسيط من أموالنا المنهوبة من طرق أولئك الأوغاد، إلى أن طورنا الفكرة و إهتدينا إلى نظام العمل بالمناوبة ساعتين لكل واحدة منا في تلك الحانات التي أصبح أصحابها يعرفوننا جيدا)[2].

سلكت فلة الطريق الخطأ مع صديقاتها، لكسب المال فتوجهت للحانات و أصبحت مع صديقاتها يأثرن على المستهلكين للكحول لكسب المال و كذلك أصبح أصحاب الحانات يجز لهن بالعطاء.

(إلى أن تعرضت ذات يوم لمحاولة إحتطاف، كانت مدبرة بعناية حيث ركنت شاحنة قرب باب الحانة الخارجي و بها أربعة أشخاص كانوا قد أسرفوا في الشرب ... بينما نحن نتأهب لركوب سيارتها فوجئنا بشخصين يتجهان نحونا، ضرب أحداهما صديقي على وجهها فسقطت أرضا، و أخذ الثاني يجرني نحو شاحنتهم).

في الغالب يرجع أسباب انحراف الفتيات إلى العامل الاقتصادي، فإن أغلب بنات الليل من الفقيرات و بعضهن من ميسورات الحال و لكن احتياجاتهن أكبر من إمكانياتهن المادية فيلجأن إلى سلك الطريق الخطأ.

و الليل ليس صديق المرأة بل في كثير من الأحيان قد يكون عدوها فتتعرض العديد من النساء ليلا إلى محاولات التحرش اللفظي و الجسدي و ذلك لعدم وجود مرافق و هذا ما

[1] الرواية، ص 201.

[2] الرواية، ص 202.

تعرض له فلة، فقد حاول مجموعة من الرجال لخطفها من أمام الحانة و لقد نجوت منه لحسن حظها.

(و من حسن حظي، أن صديقتي لحقت بنا و قاومتهما، و ملأت الشارع بالصراخ و طلب المساعدة فتدخل رجلان ملتحيان كانا مارين من هناك و إلتحق بهما عون الأمن الذي يعمل في الملهى ... فنجوت بأعجوبة)[1].

نجت فلة تلك الليلة، وانقطعت عن صديقاتها و تابت عن تلك اللعبة الخطيرة و إلتزمت البقاء في البيت.

لكنها أصبحت تفكر في إصطياد عريس غني، كي تخرج أسرتها من الوضع السيء الذي يعيشونه.

(أصبحت هوايتي المفضلة هي محاولة إصطياد عريس ثري من مواقع التواصل الإجتماعي، كي نتمكن أنا و أسرتي من تجاوز الوضع المزري الذي علقنا فيه بعدما أفلست تجارة و الدي وصار كناسا، تدمي رؤيته و هو يفعل ذلك قلبي)[2].

الوضع المزري الذي تعيشه فلة وعائلتها جعلها تفكر في أن الحل هو أن تتزوج رجل غني، و مع إلتزامها البقاء في البيت و جدت أن مواقع التواصل الاجتماعي هي حلها للتعرف على شاب عني قصد الزواج، فعدم تقبلها لوضعها الحالي أرهقها نفسيا، بعدما كانت إبنة تاجر أصبحت إبنة كناس، فرويتها لوالدها و هو يكنس الشوارع تزيد من ألمها و تدمي قلبها.

4. قديرو:

إن الإنسان إجتماعي بطبعه فهو يعيش في مجتمع يدخل في علاقاته مع أفراده و يتعامل مع الأخر و يكون معه علاقات، فتنتج عن هذه العلاقات مقارنات بين الأنا و الأخر.

[1] الرواية، ص 202.

[2] الرواية، ص 203.

فقد قدم لنا الروائي سليم عبادو من خلال روايته الفروق بين الشمال الجزائري و جنوبه، و ذلك تبين من خلال الشباب قديرو الذي تزوج من عاصمية و غير لهجته.

يقول الروائي في وصفه لقديرو.

(أنه قديرو شباب ثلاثين ، يعمل سائق سيارة أجرة غير مرخصة، مصاب بإسهال في الكلام، السمة المشتركة بين أغلب سواق التاكسي يجمعون شحنات من الكلام و المعلومات غير المنسجمة و غير الدقيقة ثم يقصفونك بها في أول فرصة يتحدثون فيها إليك ليوهمك بأنهم مطلعين على كل شيء)[1].

سائق التاكسي هو أخطر شخصية إجتماعية تمر عليك في أي بلد من بلدان العالم، فيقال سائق التاكسي عين وأذن ولسان، وأيضا سائق التاكسي يصلح بإمتياز جاسوسا، وأيضا سائق التاكسي الفاسد أخطر على البلد من الوزير الفاسد، فيعتبر مطارا مصغرا متحركا، تنزل فيه ترانزيت*[1] جميع أنواع العقول البشرية، عقل البروفسور، عقل أستاذ جامعي، عقل سياسي، عقل إقتصادي، عقل رياضي، عقل فني، عقل عسكري، عقل مدمن، عقل منحرف، عقل متشرد... الخ.

كلهم يركب معهم ثم بحكم عقلية سائقي التاكسي الذين يعشقون الثرثرة فإنه حتما و ضرورة أن يفتحوا مواضيع مع الراكب مهما كان هذا الراكب من النوعيات التي ذكرتها أعلاه، فيعطونه معلومات ملخبطة من التي عندهم ويأخذون منه معلومات مرتبة من تخصصه[2].

وبعد أن وصفه كذلك بطيب القلب، عقب على كلامه بـ لكن حيث ينتقد الروائي من خلال بطل الرواية (شبشا) قديرو الذي غير طريقة نطقه ليبدو مثل سكان العاصمة ، فيقول (لكني أخذ عليه مأخذ هو أنه غير من طريقة نطقه ليبدو مثل سكان العاصمة، فهو لم يعد

---

[1] الرواية، ص 17.

*[1] **الترانزيت:** هو عبارة عن التوقف لفترة وجيزة في مطار أو في دولة ما بعد النزول من المطار (صالة الترانزيت بالمطار).

[2] أنظر www.al.watan.com

ينطق القاف "قاء" كما يفعل سكان سوف و كل الصحراء و استبدلها بقاف أهل الشمال فأصبح يقاقي"[1].

يقال أن عليك أن تختار الملبس يوصلك إلى النجاح، و لكن هل ينطبق الشيء ذاته على طريقة الكلام؟

جرت العادة أن ترتدي ثياب خاصة لمناسبة إجتماعية معينة، أو عندما تذهب للعمل حي لو كنا لا نريدها في العادة، فهل يخلف الأمر عندما تغيير لهجتك بلهجة أكثر فخامة ورقيا بالنسبة لك.

هذا ما حصل مع قديرو الشاب السوفي الذي أعجب بعاصمية تتفاخر أنها من بنات حي القصبة العتيق.

(قال إنه تزوج من عاصمية تفتخر كثيرا بأنها من بنات الحي العتيق القصبة وأنها تطلب منه مستوى حياة أكبر مما يستطيع هو تأمينه لها مجاراة لقريباتها وصديقتها المرتاحات ماليا).[2]

إن إنبهار وإعجاب قديرو بالنبت العاصمية جازية، و تفاخرها بأنها عاصمية و طريقة نطقها و لهجتها التي إستعملتها كمصدر للتفاخر جعل من الأنا الفضولية لقدير و ترغب في التعرف عن الأخر عن كتب والتقرب إليه، وهذا الإعجاب ينتهي إلى مفترق طرق إما أن يتطور إلى حب و إما أن تختفي مشاعر الأنا تجاه الآخر و تفقد الإهتمام و تمحى اللهفة.

(كانت تبدو جميلة ... بيضاء و ناعمة البشرة، الكثير من الماكياج ذهبية الشعر، منفوخة الساق، تتفن اللعب بالكلمات، تنطق "القاف" و ليس "القاء" كما نفعل نحن سكان الصحراء)[3].

[1] الرواية، ص 17.

[2] الرواية، ص 18.

[3] الرواية، ص 143.

إن طريقة جازية في التلاعب بالكلمات وطريقة نطقها جعلت قديرو يعجب بها و يرغب في الزواج منها، و أرغم والديه على خطبتها خاصة بعد أن بالغ والدها في مهرها فقد كان مرتفعا جدا.

(تزوجنا بعد أن وافقت والدتي على مضض بسبب المهر الذي كان مرتفعا جدا، فقد رأت فيه والدتي استعلاء على عائلتنا، وأنه إن قبلت به سيأخذون عني موقفا سلبيا من البداية، و سيعتبرون ذلك إذعانا و إعترافا مني بأني أقل شأنا منهم)[1].

و هذا ما حصل فعلا حيث أصبحت جازية بعد زواجها منه، تتذمر من المستوى المعيشي، و كذا تحط من قيمة أهله السوافة، و تسخر من لبسهم و عاداتهم و تقاليدهم، (صارت تتذمر علنا من المعيشة في وادي سوف و تصفها بالقرية النائية و ببلاد العواصف الرملية التي يستحيل أن تفني عمرها فيها، و تقدح في أهلي من السوافة و تحط من قيمتهم و تسخر من لبسهم و تقاليدهم)[2].

بعدما كانت تعرب عن حبها لواد سوف و أهلها (كانت تعرب عن إرتياحها لي و لوادي سوف عموما، و تصفها بالمدينة الهادئة، و بأنها أحبت أهلها الطيبين و لا تتخيل الرحيل عنها من جديد، حتى أنها كانت تردد دوما: لو تزوجت و أقمت هنا سأصبح حتما أسعد السعيدات)[3].

أصحبت المشاكل تعصف بأسرة "قديرو" بعد عدة محاولات منه لطرد الأفكار تسيطر على تفكير "جازية" و أصبحت بعدها تذهب لبيت أبيها بالبليدة حتى قررت يوما عدم الرجوع نهائيا.

[1] الرواية، ص 146.

[2] الرواية، ص 147.

[3] الرواية، ص 145.

(حاولت معها المستحيل من أجل ثنيها عن الأفكار الغريبة و التي قد تعصف بأسرتنا، لكن دون جدوى ... و أصبحت من حين لأخر تهرب إلى بيت أبيها بمدينة البليدة القريبة من العاصمة التي استقر فيها بعد تقاعده ، و تبقى هناك لأسابيع و حتى شهور)[1].

إلتحق "قديرو" بجازية و بولديه بعد أن خيرته بين الإلتحاق بها أو تطليقها، فإختار التمسك بأسرته، و الالتحاق بها و العيش معها في باب الزوار بالعاصمة ، و بعدها استفاد من سكن إجتماعي بتدخل أبيها بدى رئيس البلدية.

حول "قديرو" سيارته الشخصية إلى سيارة أجرة، لكن أصيب بعدها بإنزلاق غضروفي في فقراته بسبب كثرة السياقة.

(حولت سيارتي الشخصية إلى سيارة أجرة غير مرخصة "فرود" كما نسميها و أصبحت أشتغل في محور باب الزوار بالعاصمة و باب الزوار مطار هواري بومدين القريب منا، إلى أن بدأت أعاني من الأم متكررة في أسفل الظهري بسبب كثرة السياقة، شخصها طبيعي بعد إجراء الأشعة اللازمة على أنها إنزلاق غضروفي في تلك الفقرات)[2].

أصبح "قديرو" لا يقوى على العمل لساعات طويلة، فعجز عن تلبية حاجيات عائلته و هذا ما جعل المشاكل تزيد بينه وبين زوجته.

رغم كل محاولات قديرو في إيجاد حلول مع جازية إلا أنه لم يستطع إرضاءها، و قد إنتهى الحال إلى الطلاق.

إنتقاد الروائي لشخصية "قديرو" الذي غير من لهجته و حتى من اسمه، برؤية منه أن هذا الفعل يعبر عن ضعف في شخصيته و تنصلا منه لثقافته، على عكس لو تربى في العاصمة لما لامه يقوله (لو كان ولد وتربى في العاصمة مالمته على ذلك لكن أن تتنصل

[1] الرواية، ص 147، 148.

[2] الرواية، ص 148.

من ثقافتك وأصلك في خمس سنوات فقط بالعاصمة؟ فهذا اراه ضعف شخصية، حتى إسمه عبد القادر حوله بقدرة قادر إلى "قديرو" على نسق الأسماء المتداولة بالعاصمة)[1].

هكذا انتقد الروائي على لسان بطل روايته "شيشا" لشخصية "قديرو" و أعاد سبب تغييره للهجته و اسمه بأنه ضعف في شخصيته وتنصلا منه لثقافته، ربما لأن بطل الرواية كان إنسان سوفيا أب عن جد ولد وتربى في وادي سوف و شرب من ثقافتها، لذا شدته غيرته على ثقافته و لهجته، فأراد من "قديرو" أن يعتز و يفتخر بلهجته و ثقافته و أصله و أن لا يضعها موضع دونية على لهجتهم و ثقافتهم العاصمية.

– نرجع سبب تغيير "قديرو" ربما فقط تعبيرا على سرعة تأقلمه و مجاراة منه لطريقة عيشهم ليس إلا ذكر الراوي أن من أسباب عدم نجاح الانسان في حياته، ارتكابه لمجموعة من الأخطاء و الذي عبر عنها من خلال انتقاده لشخصية "قديرو".

حيث يقول (فقد سمح قديرو و عبر سنوات من التنازلات المتراكمة لزوجته جازية بأن تهينه ولا تحترم أهله وبلده الأصلي، فدخل في دوامة من الإهانات و الاستفزازات التي عصفت بعش زوجيته)[2].

كان خطأ "قديرو" منذ البداية عندما قبل بمهر جازية المرتفع و هذا تعال من أهلها و تهميش وإنقاصا لأهله.

(فقد أخطأت من الأول عندما لم تسمع لرأي أمك التي حذرتك من أن قبول مهر مبالغ فيه معناه الإذعان مدة الحياة، ويعتبر إعترافا بالنقص أمام زوجتك و عائلتها)[3].

و كذلك التنازلات التي قدمها قديرو التي مست من شخصيته و كرامته و عرضه و أهله و أصله.

---

[1] الرواية، ص 17.

[2] الرواية، ص 152.

[3] الرواية، ص 153.

(و أخطأت أيضا لسنوات و أنت تقدم التنازل تلو الأخر في أشياء تمس من شخصيتك و عرضك و عرض أهلك)[1].

في نهاية عرضه وانتقاده لشخصية "قديرو" وجه الروائي نصيحة بقوله (الاعتزاز بالأصل و المحافظة على الكرامة هما الضمان لاستمرار حياة سوية بين الأفراد)[2].

5.إدريس (إبن عم شيشا).

في المجتمع السوفي كان الأب يرعى شؤون العائلة و يقودها و يخلفه عند غيابه أو موته أكبر أبناءه؛ فعند زواج الأبناء يبني كل منهم أسرته لكن يبقى الجميع يظلهم سقف المنزل الواحد فنفقة البيت يتحملها الأب و ليس أبناءه المتزوجين، فهو المسؤول الوحيد و الأساسي على كامل العائلة، كانت عائلة "شيشا" متكونة من الجد علي و الجدة الزهرة، أبوه بلقاسم وأمه رقية وعمه الطاهر وزوجته زوليخة، وإبنيها (إدريس وعيشة).

(رزق عمي الطاهر وزوجته زوليخة بولد أسمياه "إدريس"، فأصبح عندي إبن عم فرحت لذلك كثيرا، لكن بمرور السنين أفسدت زوليخة فرحتي به)[3].

و المعروف في أي بيت يسكنه الأخوة المتزوجين تقع الغيرة و المشاكل و المشاحنات، فقد كانت زوليخة تردد أن الجميع لم يفرح بميلاد إدريس كما فرحوا بميلاد شيشا.

(كنت أسمعها تردد دائما بأن جميع من بالمنزل لم يفرحوا بميلاد إدريس كما فرحوا بميلاد، و أنهم يتحيزون لي، فكانت كلماتها تشعرني بالذنب بينما إدريس لم يكن يكترث لذلك و كان يحبني، و يتبعني كثيرا، إلا أنه تغيير بعد ذلك)[4].

كان شيشا يفوق إدريس بتسع سنوات، خلق فارق السن بينهما هوة كبيرة (ثم تغيرت العلاقة إلى الأسوء، مارست عليه الأبوية بأبشع صورها ليس حقدا مني عليه لكن جهلا

[1] الرواية، ص 153.

[2] الرواية، ص 153.

[3] الرواية، ص 38.

[4] الرواية، ص 39.

بالطرق الأنسب لفعل ذلك، كنت أمنعه من الكثير من أنواع اللعب الذي استبحته لنفسي سابقا...)[1].

إن دعم الجد "علي" لشيشا الذي كان يكرر لإدريس بأنه أخوك الأكبر و يخاف عليك، عبارة جعلت شيشا يتمادى في سيطرته الظالمة على إدريس، حينما لم يكن إدريس يجادل فقد كان يشكوه لأمه "زوليخة" والتي كانت غير قادرة على فعل شيء.

(كان إدريس يشتكيني لأمه التي لم يكن بيدها أنذاك سوى أن ترمقني بنظرات الحقد و التوعد...)[2].

كانت مكانة "زوليخة أم إدريس لا تخولها لعقاب شيشا، فقد كانت تحتل المرتبة الأخيرة في سلم بيتهم، فكان الجد في المقام الأول ثم الجدة و بعدها أم شيشا رقية ثم أباه بلقاسم فعمه الطاهر فزوليخة أخيرا.

درس إدريس وتدرج في دراسته حتى السنة النهائية فقد إكتسب ثقافة و فهما أحسن من شيشا، وعلى الرغم من ذلك لم يستعملها لإحراجه يوما بهذا كبر إدريس لا يميل للكلام مع شيشا وإختار تجنبه، و احترامه أمام الأخرين.

(كبر ابن عمي إدريس وأصبح شابا، يحمل في قلبه نجوى ما يحمل من ضع ما و شوشت به أمه، و ما نفثته من حقد و كراهية في صدره نحوي)[3].

لم يتحصل إدريس على شهادة البكالوريا، لكنه توظيف بمديرية الضرائب بالوادي، فأصبح يتقاضى راتبا، أجر به منزلا و أخذ معه أهله (أجر إدريس منزلا متواضعا، و أخذ معه أهله ليعيشوا فيه بعيدا عن دار جدي، فأعجب به جدي أيما إعجاب، و إستبشر خيرا بسلوكه فكان يردد: أصبح إدريس رجلا و بدا يسلك طريق الرجال عكس أبيه الفاسد)[4].

---

[1] الرواية، ص 58.

[2] الرواية، ص 59.

[3] الرواية، ص 70.

[4] الرواية، ص 70.

و لتشجيع إدريس قرر جده أن يقسم بين إدريس و شيشا الحانوت بعقد رسمي، و وعده أن لا يتدخل في شؤونه.

استغل إدريس الفرصة، وفتح حانوته للخضر والفواكه بجانب حانوت شيشا مع جده لبيع التمور، و نتيجة لفطنته و ثقافته التي إكتسبها من الاحتكاك بالتجار، إستبسل في التجارة و كشف عن مهاراته التي لم يعلمها له أحد.

بعد ما فتح إدريس حانوته تحسنت علاقته مع شيشا قليلا، فأصبح يرمي عليه السلام و لا يزيد عليه، فقد كان يتجنبه نتيجة لما حدث معه في الطفولة.

(حاولت مرة أن أحدثه في التجارة، بإعتبار أني أكبر وأخبر منه بها، فكان رد فعله عنيفا، فأدركت أن حساسية ما جرى بيننا و نحن صغار لم تنطفئ بعد، فقررت ألا أتدخل نهائيا فيما يعمله مهما كان، فطبع علاقتنا بعدها الفتور لسنوات)[1].

استخدم إدريس رد فعل دفاعي عنيف تعبيرا عن رفضه لحديث شيشا نتيجة لتراكمات نفسية وشعور إدريس بوجود تهديد لإحترامه ولذاته رد فعل دفاعي مبالغ فيه يظهر قوة إدريس وعدم قبوله لسيطرة شيشا التي كان يمارسها عليه سابقا، و أنه تغير و لم يعد إدريس الولد الصغير الذي يسيطر عليه غيره.

رغم هذا كله إلا أنه و بعد فراق شيشا و إدريس نتيجة إفلاس و رحيل شيشا إلى العاصمة، بقي إدريس يبحث عنه.

قرر شيشا العودة إلى بلاده بعدما شعر أن عائلته ليسوا مرتاحين في قوله (أعرف أيضا أنكم غير مرتاحين هنا، و لهذا قررت أن نعود للعيش بوادي سوف، لكن بعد استشارتكم هذه المرة)[2].

[1] الرواية، ص 71.

[2] الرواية، ص 215.

وافق الجميع وكأنهم ينتظرون هذه اللحظة بفارغ الصبر.

(تكلمت الورد الدنيا متعبة هنا أو هناك، و لكن في الوادي أرحم فهي بلدنا و بها أهلنا و حتى المعيشة بها أسهل و أبسط من هناك)[1].

ساندت فلة كلام والدها بقولها.

(رأي حكيم أبي، اشتقنا إلى الوادي و بلدنا أولى بنا)[2].

أما مروان فكان يرغب في الرجوع منذ مدة لكن لم يطلب ذلك من والده كي لا يحرجه.

(كنت أرغب في أن أطلب هذا منك لكني لا أريد إحراجك وتحميلك أكثر مما تطيق)[3].

ما هي إلا ساعة زمن كانت العائلة في محطة نقل المسافرين، إنطلقوا في الحافلة متوجهين إلى وادي سوف.

كانت فرحة كبيرة، و شعر شيشا بالندم على مغادرته بلدته وادي سوف و تأثره بكلام الناس منه و شماتتهم بإفلاسه.

فشخصية شيشا شخصية علنت من الاغتراب النفسي و الاجتماعي فاغترب من مكانه و بلاده الأصلي بلد أخر غريب فيه تاركا وراءه نفسه و ذكرياته هربا من شماتة أهله هناك، و ظهر اغترابه جليا بقوله:

(و في الطريق شعرت أنني لست عائد إلى مدينة أو منطقة جغرافية بل إلى جدي و أبي، و جدتي و أمي، عائد إلى نفسي و ذكرياتي، كان قلبي يخفق فرحا، نفس الفرح الذي رأيته على وجوه عائلتي، فأدركت كم كنت مخطأ بترك مدينتي من أجل لا شيء موضوعي متأثرا فقط بما سيقوله الناس عني بعدما أفلست!)[4].

---

[1] الرواية، ص 216.

[2] الرواية، ص 216.

[3] الرواية، ص 216.

[4] الرواية، ص 216-217.

وصل شيشا و عائلته إلى بيت جده، فوجدوه كما هو، بدأت الورد و إبنيها (فلة ومروان) بتنظيف البيت و ترتيبه و انظم إليهم شيشا بعد توجهه للسوق لإقتناء بعض الحاجيات إلا أن إدريس فاجئه بزيارته.

(طرق شخص باب منزلنا، فتحته و إذا ابن عمي إدريس واقف أمامي و ما أن رأني حتى ضمني إلى صدره بحرارة ثم قال الحمد لله على سلامتك لقد اشتقنا إليك.)[1].

يبدوا أن ادريس لم يكن أبدا كما كان يظنه شيشا بأنه لا يحبه و يريد الانتقام منه عندما يكبر من جراء ما كان يفعله به في صغره.

بل مثل لنا إدريس الإنسان الحافظ للجميل و يؤكد لنا قيمة التمسك الأسري و صله الرحم الباقية، ببحثه عن شيشا عند غيابه.

(بحثت عنك كثيرا، و لم أجدك لماذا لم تعلمني بإقدامك على ترك الوادي؟)[2].

يسترسل إدريس الكلام و يحكي له كيف أن جده زاره في المنام و كان غاضبا منه لأنه رهن الحانوت و غاضبا من إدريس بأنه لم يساعد شيشا و تركه للأغراب ليأخذوا الحانوت منه، و أنه فك رهن الحانوت و أصبح لشيشا الآن.

(تمكنت من فك الرهن و استرادة وهو الآن لك كما كان من قبل)[3].

نسمع كثيرا بالمثل القائل "الدم عمره ما يصير ماء"[*1] يضرب هذا المثل عندما يبادر أحد الأقارب في فك ضيقة قريبة و غالبا ما تكون المسألة تحتاج إلى تدخل إيجابي و استثنائي و يسجل هذا الموقف في سجل الذاكرة و يحفظ مع الأيام.

تمثلها في الرواية إدريس الذي أثبت هذا المثل بأن الدم عمره ما يصير ماء، فلقد فك رهن الحانوت وأعاده لشيشا ليكون له من جديد.

---

[1] الرواية، ص 217.

[2] الرواية، ص 217.

[3] الرواية، ص 218.

*[1] "الدم عمره ما يصير ماء" مثل عربي شائع في جميع الدول العربي: يضرب حين يبادر أحد الأقارب في حل مشكل ما لأحد أقاربائه.

ناسيا كل ما جرى بينه وبين شيشا في صغرهما، حافظ لجميل شيشا و أباه بلقاسم اللذان كانا يعملان من أجل إطعامهم و هم صغار بدون منة و لا تذمر.

تأثر شيشا بما قاله إدريس وسالت دموعه التي أصبحت تغلبه مؤخرا و إدراكه لظلمه له.

(و أدركت أنني كنت أظلمه عندما حكمت عليه بالجفاء نحوي)[1].

اقترح إدريس أن يضم حانوته الذي كان يعمل فيه بتجارة الخضر و الفواكه إلى الحانوت شيشا كما كان أيام جده ليتعاونوا معا.

وافق شيشا بعد أن وجد إدريس صيغة للشراكة لعدم و جود مال لدى شيشا.

[إنطلاقنا في شراكة مع إدريس، أنا و مروان و هو، قد كانت تجارة إدريس ناجحة لكن في و حدود، لأنها إقتصرت على سوق محيط منطقة سوف أي مدينة الوادي و المدن و القرى التي تحيط بها و فقط، لكننا أشرنا عليه بتوسيع تجارتنا عبر توريد إلى باقي ولايات الوطن][2].

و نظرا لمعرفة شيشا الشخصية بتجار الجملة في سوف بوفاريك للخضر و الفواكه، إستغل شيشا هذا وبدأ في العمل مع تجار بوفاريك.

(انتعشت تجارتنا في غضون أشهر و أصبحت جد مربحة لنا وتدر علينا بمئات الملايين في السنة الواحدة، فتحسنت أو ضاعنا ودخلنا شيئا فشيئا قائمة أثرياء الوادي من جديد)[3].

لا يصل الإنسان إلى حديقة النجاح دون أن يمر بمحطات التعب و الفشل و اليأس و صاحب الإرادة القوية لا يطيل الوقوف في هذه المحطات.

---

[1] الرواية، ص 218.

[2] الرواية، ص 219.

[3] الرواية، ص 219-220.

مر شيشا بتجربة قاسية علمته أن اليأس مقبرة الحياة و أن السقوط لن يدوم مع الإرادة، فيقول الراوئي على لسان شيشا.

(تعلمت شيئا مهما جدا في هذه الحياة و هو أن لا تيأس أبدا إذا ما تعددت إخفاقاتك وفشلك وتعددت سقطاتك لأن كل هذه المحطات المتتالية من الفشل هي في الحقيقة لبنات ضرورية و لابد أن تجمعها في طريقك من أجل تشييد نجاحك الكبير في أخر المطاف)[1].

كان شيشا شجاعا بإتخاده قرار عودته إلى الوادي و مواجهة فشلة لا الهرب منه ونجح في الوقوف مرة أخرى والنجاح بسبب دعم عائلته له (زوجته وأبناءه، و إبن عمه إدريس)، و تعلم شيشا أن العائلة هي الداعم الحقيقي لكل شخص، ولا أن هناك عائلة مثالية خالية من المشاكل، بالعكس فإنما تقاس درجة تماسك عائلة ما على مدى قدرتها على تجاوز المشاكل و المواقف الصعبة في الحياة و كيفية التعامل معها و مدى تكاتف أفرادها و قوة تحديهم لهذه المشاكل.

[1] الرواية، ص 221.

خـــــاتمة

خاتمة:

لقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

– أن الرواية تتناول تاريخ وادي سوف و كيف كافح سكان أهل سوف للعيش في منطقة حارة جدا تفتقر إلى الماء، لكن بفضل جهودهم و ذكائهم حولوا هاته المنطقة من أرض قفار إلى جنات خضراء من النخيل حيث إبتدعوا الغيطان عن طريق رفع الرمل، إلى أن وصلوا للماء، ثم قاموا بغراسة النخيل و بذلك أصبح الغوط رمزا للمفخرة و دليل على الذكاء و الفطنة.

– أن سوق الوادي يعد ظاهرة سوفية بحتة، لا يجمع السلع والبضائع فحسب، بل فيه تراث السوافة و عاداتهم و تقاليدهم، كما تتمثل فيه الشخصية الوفية المليئة بالحيوية و الذكاء و النشاط بكل مقوماتها و أبعادها النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية.

– أن طريقة البناء في وادي سوف كانت تتم بواسطة خبرات محلية حيث تعرف العمارة السوفية على أنها فضاء كبير مفروش بالرمل عرف بالبساطة في شكله، تعلوها قباب فالقبة أعتمدت لتسقيف المنازل وذلك لانكسار أشعة الشمس و منعها تكديس الرمال و منحها هواءا لطيفا.

– أن سكان الوادي تمسكوا بهاته الربوع الحارة وتأقلموا معها وتحدوا قساوة الصحراء بحكم ماضيهم البدوي الذي فرض عليهم المغامرة والتحدي لهاته الصعاب.

– أن الجزائر العاصمة بالرغم من أنها مدينة حضارية كبيرة ومعاشة إلا أن شيشا لم يستطع التأقلم والعيش فيها بسبب الضيق والاكتظاظ إلا أن الظروف المعيشية هي التي أجبرته على السفر والانتقال إلى العاصمة للبحث عن العمل.

– أن الإغتراب حالة يعانيها الفرد نتيجة لعوامل مؤثرة فيه سواءا كان هذا الإغتراب نفسي أو إجتماعي، أو مكاني أو لظروف محيطة به.

– موضوع الإغتراب نال حظا وافر من الدراسات من طرف العلماء والأدباء، و لقد لاحظنا ذلك من خلال تعريفه ومدى حضوره سوى عند العرب أو عند الغرب، و هذا إن دل على شيء فنما يدل على الإهتمام الكبير التي يكتسبها الموضوع.

– تعددت مفاهيم الإغتراب واختلفت بين الفلاسفة والعلماء، فمفهوم الإغتراب عند علماء النفس يختلف تماما عن مفهومه عند علماء الإجتماع، لكن بالرغم من هذا الاختلاف إلا أن معظمها تصب في معنى واحد و هو العزلة و الابتعاد و الشعور بالوحدة و عدم الانتماء.

– الاغتراب موضوع قديم قدم الانسان و له أنواع متعددة و متداخلة ببعضها البعض منها الاغتراب النفسي، و الاغتراب الاجتماعي، الاغتراب الديني، و الاغتراب السياسي ... الخ.

– غلب على الرواية الاغتراب النفسي و الاغتراب الاجتماعي و هذا نظرا للمحاولات النفسية التي تمر بها الشخصية مما أدى بها إلى الإنهيار و فقدان الإحساس بالوجود عليه قد تكون لبنة إنطلاق لغيرها من الباحثين.

– عالج الروائي في هذه الرواية ظاهرة الاغتراب التي تعيشها شخصية شيشا و هروبه من واقعه و رفضه لمعايير مجتمعه إلا أن ذكرياته ظلت تراوده حتى عاد إلى أهله.

– الاغتراب المكاني حاضر بقوة في رواية الكناس و قد تجلى في تنقل و سفر شيشا و عائلته من بلدته وادى سوف إلى العاصمة حيث عاش مرارة الشوق و الحنين إلى بلدته.

– تعددت الأماكن في الرواية فمنها المغلقة و منها المفتوحة و إنعكست هذه الأماكن على نفسية الشخصيات في الرواية.

– الاغتراب الزماني حاضر فهو عنصر حيوي في الرواية فقد ظهر من خلال إسترجاع الشخصيات لذكرياتهم الماضية والامتداد دوما إلى الوراء والنفور من الواقع، و هذا ما انعكس على نفسية شيشا الشخصية البطل و باقي الشخصيات.

– الاغتراب الاجتماعي كذلك حاضر في الرواية، حيث أن الشخصيات كانت من الشعور بالعزلة و الهامشية، فقد كان شيشا يعاني مرارة البعد و الغربة عن بلدته.

– الاغتراب النفسي ارتبط كثيرا بشخصية شيشا فقد كانت نفسيته متعبة إثر ما حدث له و إحساسه بالذنب تجاه عائلته زوجته و أبناءه فقد كان يلوم نفسه لأنه السبب في مأساتهم.

و في الأخير يمكن القول أن الرواية استطاعت بالفعل تجسيد فكرة الاغتراب في محتواها و الإجابة على مختلف النقاط المبهمة في فكرنا حول ظاهرة الاغتراب و إبراز أنساقه بالرغم من صعوبة هذا الموضوع، إلا أن الروائي بفضل خبرته جعل من الاغتراب مفهوما أقرب و أسهل للاستيعاب خاصة أنه استعان بأمثلة من الواقع المعاش في الزمن الذي كان فيه البطل مختلف الاضطرابات و الصراعات.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر :

- سليم عبادو ، الكناس ، دار خيال للنشر و الترجمة ، الجزائر 2023 .

ب- المراجع :

أولا : الكتب:

1- ألبير، تاريخ الرواية الحديثة ترجمة جورج سالم، منشورات عويدات بحر المتوسط بيرو، ط2، 1982م.

2- أمجد ناصر، نسرين محمود الشراقة، الاغتراب في شعر، ط1، 2013.

3- بن سالم الطيب بالهادي، سوف تاريخ وثقافة، مطبعة الوليد، د.ط، د.ت.

4- بن علي محمد الصالح، جماليات العمارة التقليدية في وادي سوف، دراسة وصفية تاريخية، الجزء الأول، ط1، 2013.

5- جستون كوفي، مذكرات حول سوف والسوافة، تر: عبد القادر ميهي، ط1، 2016.

6- جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب،2009.

7- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

8- حسن عليان، البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى عام 1973، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ط1، 2001م.

9- حسونة عبد العزيز، عماردة مدينة قمار بمنطقة سوف من القرن 10ه/13ه، دراسة أثرية عمرانية، ط1، 2013.

10- عبد الكامل عطية، دراسات في التاريخ والتراث، مطبعة الرمال، د.ط، د.ت.

11- علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر (13ه) والتاسع عشر (19م)، مطبعة الرمال الوادي، 2019.

12- غاستونباشلار، شاعرية أحلام اليقظة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط1، 1991.

13- فاطمة حميد السويدي، الإغتراب في الشعر الأموي، ط1.

14- محمد عباس يوسف، الاغتراب و الإبداع الفني، دار غريب، القاهرة.

15- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1991.

16- منير البعلكي، رمزي البعلكي (2008) المورد الحديث، قاموس إنجليزي عربي، ط1، بيروت، دار العلم للملايين.

17- الهادي محمد بوطارن، الإغترب في الشعر العربي الروماني، دار الكتاب الحديث، ط1، 2010، القاهرة.

ثانيا : المذكرات :

18- حلبي فايزة وأخرون، شخصية البطل في رواية المرأة والوردة لمحمد زفزاف، مذكرة ماستر كلية الأداب واللغات، تخصص دراسات أدبية، جامعة أكلي مسند أولحاج، لبويرة، 2020م.

19- حياة بوعافية، الاغتراب في شعر أبي العلاء المعري، دراسة موضوعاتية فنية، ماجستير تخصص أدب عربي قديم، جامعة محمد بوضياف مسيلة 2008-2009.

20- عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي و علاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم النفس وعلوم التربية كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر يوسف بن خدة، 2007-2008.

- فضيلة مادي، دور عالمية و مذاهبة في تطور الأدب و ظهور أجناسه الأدبية، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير، نقلا عن وحدة الآداب العالمية المعاصرة (سعيدة بشار).

21- اقبيلات نزار مسند، المرأة المتحررة و المرأة المقيدة في الرواية العربية المعاصرة رواية س للكاتبة كفى الزغبي أنموذجا، الجامعة الأردنية، 2017.

ثالثا : المجلات:

- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 09، عدد:05، سنة 2020.

- مجلة المفكر مجلة علمية أكاديمية، جامعة الجزائر2، (أبو القاسم سعد الله)، المجلد الرابع، العدد الأول، جوان 2020.

رابعا: المواقع:

- www.alwatan.com

الملاحـــــــق

التعريف بالكاتب:

الدكتور سليم عبادو طبيب وكاتب جزائري ولد في 02 أكتوبر 1969 بمدينة قمار بالجنوب الجزائري، ناشط مجتمعي إهتم بالأدب، التاريخ والعمل الخيري عضو هيئة التحرير الدائمة بمجلة "ومضات أصل" الثقافية التي تصدر بفرنسا، وصاحب مقالات وأدوية بصحيفة الشروق اليومي الجزائرية به عمل أكاديمي علمي سابق حول سيكولوجيا الألم وخمسة أعمال أدبية: مجموعتان قصصتان، أولا هما "قطوف واقزه" من خمسة وأربعون قصة، صادرة عن دار خيال للنشر بالجزائر في فبراير 2022، ثم مجموعة ثانية عنونها "هزيز الصمت" والتي تتكون هي الأخرى من خمسة وأربعون قصة قصيرة، صادرة عن دار خيال للنشر بالجزائر في يوليو 2022، وثلاث روايات، "الكناس" الصادرة في فيفري 2023، و"عباس" في جوان 2023 عن دار خيال، ورواية قلب في أقصى اليسار" الصادرة بتاريخ جانفي 2024 عن دار الأمير للنشر والتوريع والترجمة بفرنسا.

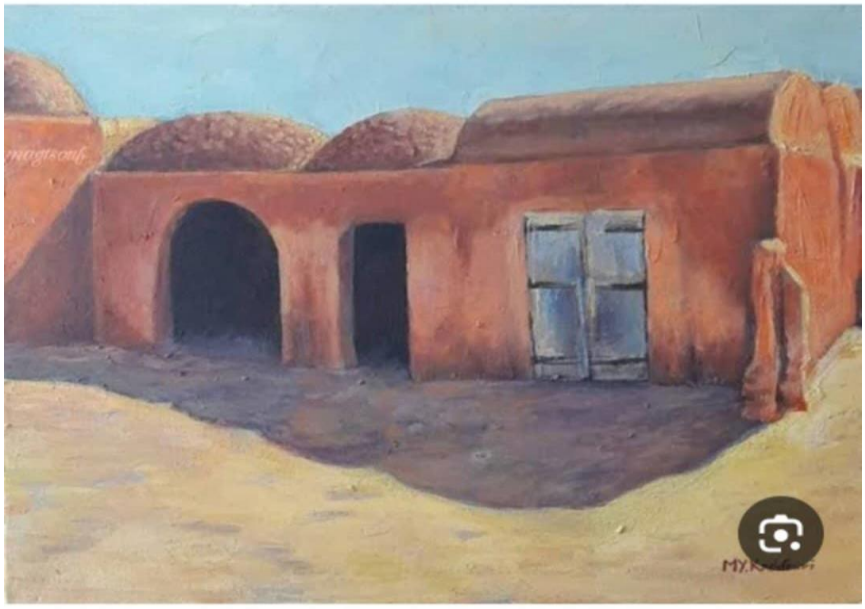

صورة توضح العمارة السوفية قديما

صورة توضح غوط أو الهرم المقلوب

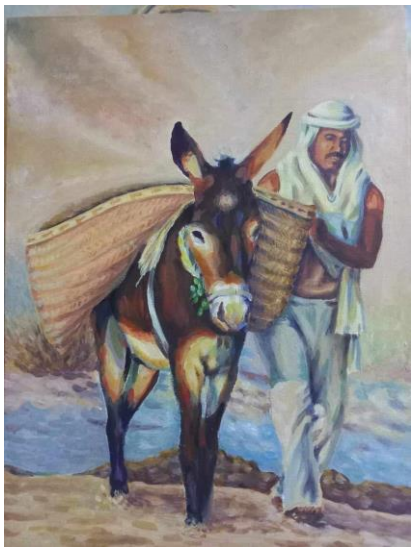

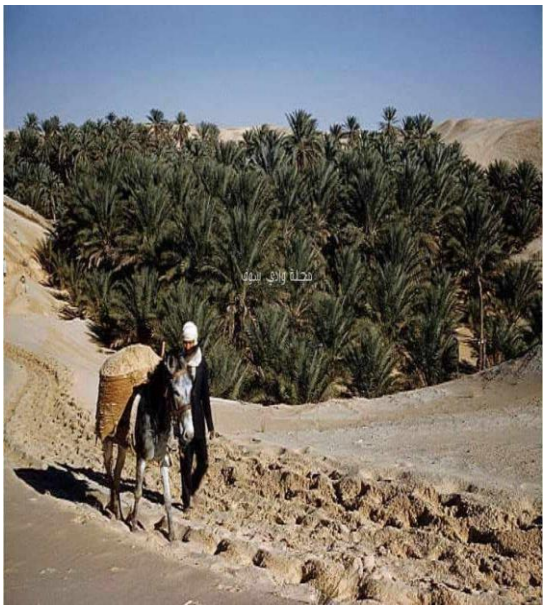

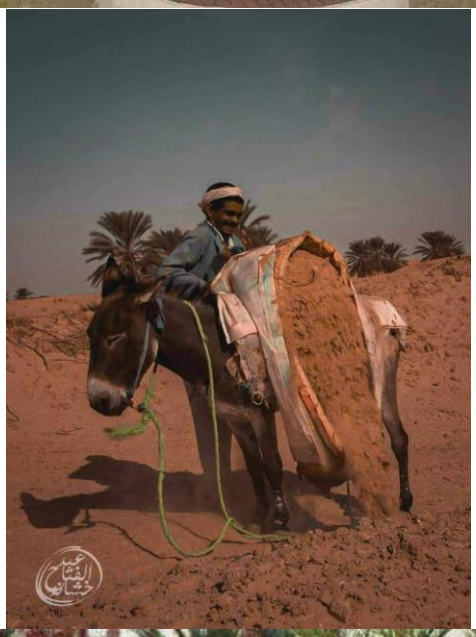

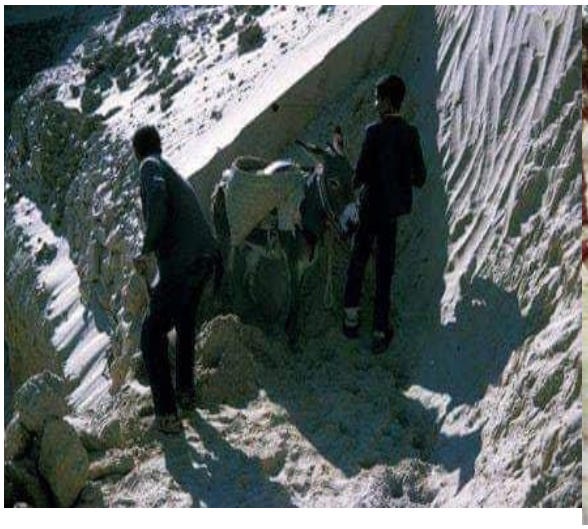

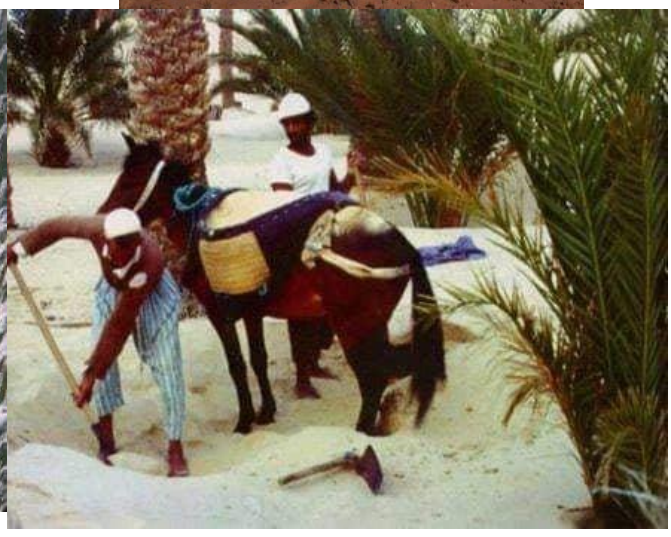

صوررة توضح عملية رفع الرملة

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان.....

مقــدمة:.....أ

مدخـــــــــل

1. المحلي والعالمي في الأدب: 5

2. مفهوم الإغتراب: 6

3. أنواع الاغتراب:..... 7

4. مظاهر الإغتراب:..... 9

5. الإغتراب ضمن النصوص الأدبية: 11

6. ملخص الرواية:.....15

الفصل الأول:تسريد المحلي في رواية "الكناس"

1. الغوط أو الهرم المقلوب:.....18

2. رفاع الرملة:.....19

3. السوق:.....20

4. العمارة السوفية:.....25

5. الوادي كفضاء ريفي:.....29

6. الجزائر العاصمة كفضاء مدني:.....34

الفصل الثاني: تحولات الشخصية ونسق الاغترابرواية "الكناس".

1. البطل الإشكالي: شيشا: 36

2. الزوجة "وردة" أو "الورد":.....46

3. الأبناء:.....49

4. قديرو:.....53

5. إدريس (إبن عم شيشا):.....59

خاتمة:.....67

قائمة المصادر والمراجع:.....71

الملاحـــــــق:.....73

فهرس المحتويات:.....79

الملخص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على التسريد المحلي ونسق الإتراب في رواية الكناس لسليم عبادو، حيث تمكن أهمية هذا البحث في الكشف عن أنساق الإغتراب الظاهرة منها والمضمرة وسردنة المحلي التي وظفها الكاتب "سليم عبادو"، وقد تم الاعتماد على منهج النقد الثقافي بالإستعانة بأدوات النقد السميائي، وقد إستعنا في دراستنا هذه بمجموعة من المصادر والمراجع نذكر على رأسها المصدر الأول لهذه الدراسة والمتمثل في رواية الكناس "لسليم عبادو".

وتوصلت من الدراسة إلى النتائج الآتية:

– أن الرواية تتناول تاريخ وادي سوف و كيف كافح سكان أهل سوف للعيش في منطقة حارة جدا تفتقر إلى الماء، لكن بفضل جهودهم وذكائهم حولوا هاته المنطقة من أرض قفار إلى جنات خضراء من النخيل.

– أن سوق الوادي يعد ظاهرة سوفية بحتة، لا يجمع السلع والبضائع فحسب، بل فيه تراث السوافة وعاداتهم وتقاليدهم، كما تتمثل فيه الشخصية الوفية المليئة بالحيوية والذكاء والنشاط بكل مقوماتها وأبعادها النفسية والاجتماعية و الاقتصادية.

– أن سكان الوادي تمسكوا بهاته الربوع الحارة وتأقلموا معها وتحدوا قساوة الصحراء بحكم ماضيهم البدوي الذي فرض عليهم المغامرة والتحدي لهاته الصعاب.

– أن الإغتراب حالة يعانيها الفرد نتيجة لعوامل مؤثرة فيه سواءا كان هذا الإغتراب نفسي أو إجتماعي، أو مكاني أو لظروف محيطة به.

الكلمات المفتاحية: تسريد المحلي، نسق الإغتراب، رواية الكناس، سليم عبادو.

Abstract:

The study aims to identify the local narration and the system of alienation in the novel "The Sweeper" by Salim Abbadou, as the importance of this research lies in revealing the systems of alienation, both apparent and implicit, and the local narration employed by the writer "Salim Abbadou". The cultural criticism method was relied upon with the help of semiotic criticism tools. In this study, we used a group of sources and references, most notably the first source of this study, represented by the novel "The Sweeper" by Salim Abbadou.

The study reached the following results:

-The novel deals with the history of Wadi Souf and how the people of Ahl Souf struggled to live in a very hot area that lacked water, but thanks to their efforts and intelligence, they transformed this area from a wasteland into green paradises of palm trees.

-The valley market is a purely Sufi phenomenon, which not only brings together goods and merchandise, but also the heritage of the Suwaf, their customs and traditions, and it represents the loyal character full of vitality, intelligence and activity with all its psychological, social and economic components and dimensions.

-The inhabitants of the valley held on to these hot regions and adapted to them and challenged the harshness of the desert due to their Bedouin past that imposed on them adventure and challenge to these difficulties.

-Alienation is a state that the individual suffers as a result of factors affecting him, whether this alienation is psychological or social, or spatial or due to the surrounding circumstances.

Keywords: Narration of the local, the system of alienation, the novel of the sweeper, Salim Abbadou.